جواهر من كنوز الوصي

عليه السلام

تأليف

مستمد الدعاء من الإخوان

عبد الله بن علي القذان

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[المقدمة]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين، وبعد:

لما كانت النصيحة في الدين من أفضل الهدايا بدأت بنصيحة للمرشدين حسب طلب بعض الإخوان أن أكتب موضوعًا في فضل الدعوة إلى الله، وما ينبغي أن يتحلى به الداعي إلى الله فعلاً وتركاً، غير أن ذلك يستدعي الكثير، فاقتصرت على ما وضعته في أول هذا الكتاب وفي (الجناح إلى طريق النجاح) الذي ألفه فضيلة العلامة المجتهد مولانا/ محمد بن عبد الله عوض (حفظه الله) الكفاية الكافية، وهناك مواضيع في هذا الشأن موجودة في الكتب السابقة (فوائد وفرائد) وما بعده، فاكتفيت بذلك وأخذت من نهج البلاغة جملاً أودعتها في هذا الكتاب تبركًا بكلام أمير المؤمنين عليه السلام، وقد ورد أن ذكر علي عليه السلام عبادة. وشرحت بعض كلمات أمير المؤمنين عليه السلام على طريقة الوعظ والتذكير، فمنها الحكم، ومنها .... ومنها النصح والحث على أفعال الخير، ومنها التسليم لبعض إخوانه المخلصين، وفي بعض تلك الكلمات على الناطق بها صلاة رب العالمين الذم لبعض أعدائه والمنافقين، وفي كل جملة من كلام الوصي عيبت علم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما يشفي الغليل، غير أن العامة لا يتعظون إلا بما تفهمه عقولهم، وتطرب له نفوسهم، ومن خاطبهم لغير ما يفهمون فهو كمن يقدم مستلذات الطعام إلى من قد أنهكه البلاء وقد عانت نفسه جميع مشتهيات الدنيا، فاكتفيت بأخذ ما تطَّلع عليه أيها القارئ لهذا الكتاب.

أسأل الله أن يجعل ذلك صلة لرسول الله وأخيه سيد الوصيين ـ

عليهما وآلهما صلوات رب العالمين ـ وأن ينفع به طلبة العلم والمرشدين والمؤمنين والمؤمنات، إنه على ما يشاء قدير، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

مستمد الدعاء من الإخوان/
عبد الله بن علي صالح القذان

[نصائح للدعاة إلى الله]

اعلم حفظك الله أن الدعوة إلى الله شأنها عظيم، ولا يقوم بها على أبلغ الوجوه إلا موفق حكيم، قد عرف الله حق المعرفة، يتعدى بمعرفته لله كل التحديات، ويتجاوز بيقينه كل الصعوبات، وبدون المعرفة لله الكاملة لا يتم له مطلوبه، ولا يتوصل بسعيه إلى محبوبه؛ لكثرة ما يواجه به من العراقيل في سبيل الدعوة، إما ترهيباً مثل مواجهة الكفار بالعداوة للأنبياء، أو ترغيباً مثل عرضهم المال والملك لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وغير ذلك الكثير من العراقيل التي تواجه الدعاة إلى الله، فبدون معرفة الله التامة يواجه الداعي يوماً بما يسد في وجهه جميع الأبواب إلا من عصم الله لذلك رغَّب الله تبارك وتعالى قبل ذكر الدعوة إليه بما يجعل نفس العاقل تتوق إلى ذلك الترغيب، ويحاكي نفسه أن كل شيء يهون في طريق الوصول إلى ما رغب الله تبارك وتعالى وذلك في قوله سبحانه وعظم شأنه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ۝٣٠ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ۝٣١ نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ ۝٣٢﴾ [فصلت]، فعندما يشرف الطالب لرضوان الله على ما في هذه الآيات من الكنوز

العظيمة والمعادن الكريمة فإن نفسه تتوق إلى ما يوصله إلى ما ضمنها الله من الجزاء للعاملين، وإن بلغت المتاعب منتهاها، عند ذلك صرح الله بعدها بأعظم أسباب الوصول وأعظم ما جاءت به الأنبياء عليهم السلام وهي قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ۝٣٣﴾ [فصلت]، فقد وسط الله بآية الدعوة إليه بين الترغيب في الآيات السابقات وبين تحمل المشاق وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ۝٣٤﴾ [فصلت]، وكشف الله عن عظم التكليف بقوله سبحانه: ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ۝٣٥﴾ [فصلت].

نعم، أوقف الله الناظر بعين بصيرته في هذه الآيات على قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ﴾ [فصلت:٣٤]، كي يحظر ذهنه، ويتوجه بلبه ويصغي بسمعه إلى ما يريد الله من عبده المكلف ولا سيما الدعاة إلى دينه وذلك قوله تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ أراد سبحانه وتعالى: ادفع السيئة بالتي هي أحسن ولم يقل: ادفع السيئة بالسيئة، ولا ادفع السيئة بالحسنة، بل ادفع السيئة بالتي هي أحسن؛ لأن الداعي إلى الله يواجه بالكلام القاسي يواجه بالتهم، يواجه بتوجيه

التهم من غلف القلوب ومن ضعاف النفوس، إن وراء دعوته تلك أمور سياسية أو أغراض دنيوية، حتى تؤثر تلك الدعاية على كثير ممن يعرفون ذلك الداعي بالعفة والإخلاص فيما سبق؛ فأراد الله تبارك وتعالى أن يقرر نفسه بقوله تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، ثم أطلعه على نتيجة الصبر بقوله تعالى: ﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾.

نعم، لا يخلو داعي الله من الأعداء، ويوم من الأيام مع التخلق والتحلي بالصبر يعود بعضهم إلى أحِبَّاء وأصدقاء.

ثم أتى ربنا في آخر الآية بالجائزة العظمى واللقب الأسنى وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ [فصلت]، فعلى كل داعي إلى الله أن يتخلق بأخلاق الدعاة الذين ثبتوا ولم يغيروا ولم يبدلوا في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومن بعدهم إلى يومنا هذا اللهم اجعلنا من عبادك الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه يا أرحم الراحمين.

- واعلم أيها المطلع على هذه النصائح أن أول ما يجب على المكلف عموماً وعلى الداعي إلى الله المرشد خصوصاً هي معرفة الله؛ لأن معرفة الله أول الواجبات كما أشار إلى ذلك أمير المؤمنين عليه السلام في قوله: (أول الدين معرفته، وتمام

معرفته التصديق به، وتمام التصديق به توحيده)، فمن ترك هذا الأصل وبدأ بغيره فبناؤه على غير أساس.

نعم، الإنسان لا يبيع أو يشتري من مجهول؛ لعلمه بضياع ماله كذلك من عبد الله بغير معرفته، وقد نص على ذلك سيد المرسلين عليه وآله صلوات رب العالمين في جوابه على من سأله عن أفضل الأعمال فقال: ((العلم بالله)) فقال السائل: يا رسول الله أسألك عن العمل فتجيبني بالعلم، فقال: ((ويحك إن مع العلم ينفعك كثير العمل وقليله، ومع الجهل لا ينفعك كثير العمل ولا قليله))، أو كما قال.

ومعنى قول أمير المؤمنين عليه السلام: (أول الدين معرفته) وذلك أن نعرف ربنا بما عرَّف به عباده ولا نعرفه سبحانه وتعالى إلا بالنظر في مخلوقاته قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۝١٩٠﴾ [آل عمران]، أراد بأولي الألباب الذين ينتفعون بالعبر، فالنظر في خلق السموات والأرض وما فيهما وما بينهما ينتج عن ذلك عقيدة ثابتة صحيحة؛ لأن أثر الصنع في كل مخلوق قائم، فينبغي لطالب النجاة الراغب في الدعوة إلى الله أن لا يكل ولا يمل عن المقرى في أصول الدين والمطالعة والترديد لما قد قرأه من كتب الأصول حتى يكون بأصول الدين عالماً، ولخالقه وآمره وناهيه موحداً، يدين في حقه

سبحانه بالعدل والتوحيد، لا تنتفي من قلبه هذه العقيدة بشك ولا شبهة، ومن كان كذلك من طلبة العلم المخلصين المعتمد في عقيدته ودينه على الأدلة والبراهين فإنه يرى الدعوة والإرشاد عليه واجباً متحتماً، وأن ما يلاقيه من المتاعب والمشاق والعناء في سبيل الدعوة إلى الله مغنماً، وترك الإرشاد مغرماً، وكان الداعي إلى الله مولانا الحسين بن يحيى سلام الله عليه يحدثنا أن سبب قيامه بالدعوة والإرشاد الخوف من الله، وكان يخاطبنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ قائلاً: خفت أن يسأل الله العامة يوم القيامة: لأي شيء تركوا العلم؟ فيقولون: العلماء لم يعلمونا، فيزخ بنا جميعاً في جهنم والعياذ بالله؛ فلما علم بوجوب ذلك عليه استعان بالله فأعانه، وبارك في عمله وتعليمه، حتى أحيا الإرشاد في معظم بلدان الزيدية، جزاه الله الجزاء الأوفى، وأثابه المثوبة الحسنى.

نعم، الداعي إلى الله العالم بأصول الدين تصغر الدنيا وملاذها في قلبه وعينيه، وتكبر الآخرة، وقد أشار إلى ذلك أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ بقوله: (عظم الخالق في أنفسهم فصغر ما دونه في أعينهم).

وعلى طالب النجاة من طلبة العلم والمرشدين أن يعلم أنه لا بد من الابتلاء والاختبار، وأن الله سبحانه وتعالى هو الذي أعلمنا بذلك في كتابه قال تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم:

﴿الم ۝١ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ۝٣﴾ [العنكبوت].

والابتلاء من الله قد يكون بشيء مما تهواه النفوس أو تكرهه غير أن من عرف الله حق المعرفة كما سبق يتعدى كل التحديات في هذه الحياة إيثاراً لطاعة الله وتجنباً لمعصيته، بخلاف من كان قاصراً في المعرفة.

بعض الطلبة أو المرشدين قد يفتح له باب رزق فتعترض عليه الدنيا والآخرة هل يؤثر المقرى أو الإرشاد أم يسعى لحصول المكاسب الدنيوية والمنافع العاجلة؟ فبعضهم يصعد وبعضهم يهبط، وقد خاطب الله سبحانه وتعالى أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقوله في يوم أحد: ﴿مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ [آل عمران:١٥٢]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَايِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ۝١١﴾ [الجمعة].

وبعض المرشدين قد يواجه بعدم الإقبال عليه ممن يريد إرشادهم فتظلم الدنيا في عينيه ويتحطم، فيكون عدم الإقبال عليه فتنة له وابتلاءً واختباراً، بينما مرشد آخر قد أحبه القريب والبعيد، وأقبل عليه الجميع، ترتاح قلوبهم لوجوده

ويستوحشون إذا فارقهم، وهذا الإقبال اختبار من الله لصاحب الوجاهة، وعلى هذه الطريقة جرت حكمة الله، غير أن من عرف الله حق المعرفة قد نصب الموت بين عينيه والجنة والنار أمامه، وهيمن على جميع مشاعره دقة الحساب يوم القيامة، فهو بمنأى عن الفتنة لا يبالي بذم الذامين ولا بمدح المادحين إن أعطي من هذه الدنيا شكر، وإن ابتلي بشيء من مصائبها صبر، يرى ما هو فيه من البلاء والعافية والفقر والعناء والوجاهة وعدمها أن الذي اختار ذلك له أرحم الراحمين وأحكم الحاكمين، فيحمد خالقه في السراء والضراء والشدة والرخاء، وبينه وبين السم الناقع والسيف القاطع أعني بذلك الحسد بعد المشرقين، فلا يرى نعمة الله على أحد من عباده إلا ابتلاءً واختباراً، يبرز له الموت عند كل مشتهى لأهل الدنيا، وتبرز له الجنة عند كل مستعصى، القبر لا يفارق خياله، فيلهيه ذلك عن أهله وماله، يتشوق قلبه ويتلهف لبه لفوز الفائزين يوم القيامة، ويقصم ظهره خيبة الخاسرين يوم الندامة، وكل ذلك لأنه عرف الله حق المعرفة فلا يوجد في عمله ونواياه رياء ولا سمعة، ولا حسد ولا عجب، ولا يزكي نفسه ولا يخيِّب عند ربه أمله، يرى يوماً من الأيام الصديق عدواً والعدو صديقاً، فلا يزحزحه ذلك عن مقام المتقين ومناصب الفائزين، وكل ذلك لأنه عرف الله حق

المعرفة، يزداد قرباً من الله سبحانه وتعالى عند الشدائد، إذا أغلقت في وجهه الأبواب لأمر من أمور الدنيا فُتِح له باب الفرج وطريق المخرج؛ اقتباساً من قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق]، وكل ذلك لأنه عرف ربه حق المعرفة.

يسعد بلقيا الصالحين، ويغتم بمخالطة أهل الدنيا والغافلين، ينظر لما في يديه من الرزق فلا يدري هل هو رزق له أم لغيره؛ لأنه محكوم عليه بالموت والفناء، ولا يدري متى هو، فهذه المعارف وأمثالها نتائج معرفة الله سبحانه حق المعرفة.

فالسعيد ورب المبنيات السبع من استشعر في حركاته وسكناته وجود علام الغيوب وستار العيوب، يكفيه أقل قليل من مواعظ أهل التقى البررة الأتقياء عند كل مصيبة نزلت به أو بلية حلت عليه، يتشوق إلى ما يشوق الله إليه في جنات النعيم، وتظلم الدنيا في عينيه إذا ذكر عذاب الله في نار الجحيم، وكل ذلك لأنه عرف الله وصدق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم القائل: ((لو عرفتم الله حق معرفته لعلمتم العلم الذي ليس بعده جهل، ولو علمتم الله حق علمه لزالت بدعائكم الرواسي)).

فيا طالب النجاة من طلبة العلم والمرشدين اعرف الله حق

المعرفة حتى تثق بنفسك أنك تخافه، واسعى في فكاك رقبة قد غلغلت بالمعاصي، ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ۝١٩﴾ [الحشر].

نعم، صاحب التقوى تستوحش نفسه بما يسعد به أهل الدنيا لأنه وقف بقلبه على دفاتر الحساب في يوم القيامة، وقد علم وأيقن وتيقن أن الله عدل حكيم يوفي كل عامل عمله، ﴿وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ۝٤٧﴾ [الأنبياء]، لا يغار إلا من أهل التقوى والدين، ولا يرتاح باله وينشرح صدره إلا بمجالسة الصالحين، له أصحاب في الدنيا يحبونه ويحترمونه وكثير ما يذكر فراقهم وفراق أهله وأولاده، ويذكر وحدة ووحشة القبر ويوم القيامة فيزداد بصيرة في دينه وقوة في عزمه على أداء ما أوجب الله عليه، وترك ما ينهاه عنه، وكل ذلك حصل لأنه عرف الله حق معرفته، وصدقه في وعده ووعيده، يحب الخير للناس، ويكره لهم الشر، فلا عدو له في هذه الدنيا إلا العصاة والمعاصي، فمن كان بهذه الصفات فيحق له أن يكون من دعاة الله الداعين إليه، وهداته الخالصين لديه، يسدد الله خُطَاه، ويصوب كلامه في قلوب السامعين، وقد وصفهم أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: (براهم الخوف بري القداح)، وبقوله: (قلوبهم فرحة وإن ضحكوا)، وبقوله: (يهتفون

بالزواجر في أسماع الغافلين)، وقال في وصفهم عليه السلام: (يحسبهم القوم مرضى، وما بالقوم من مرض، ولقد خالطهم أمر عظيم)..إلى قوله عليه السلام: (يهتفون بالزواجر في أسماع الغافلين، تمر على أحدهم السنوات وزواجر القرءان والسنة النبوية على صاحبها وآله الصلاة والتسليم تصرخ في آذانهم وترجف لها قلوبهم).

- ومما ينبغي أن يتحلى به المرشد الرحمة والشفقة بالناس؛ فإذا كان من أهل هذه الخليقة التي وصف الله بها نبيه صلى الله عليه وآله وسلم في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء].

ومما يعين الإنسان على جلب هذه الخليقة إلى قلبه إمعان النظر إلى أهل جهنم وهم يصطرخون فيها، وكذلك النظر في غفلة الناس وتماديهم وإعراضهم فيود أن يصلحوا على يديه ولو اشترى ذلك بأبلغ الأثمان، فمن تخلق بهذه الخليقة فإنه يتحمل جفوة العامة، ويجد ويجتهد في صلاحهم وإصلاحهم، يقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((من لم يهتم بأمور المسلمين فليس منهم))، ويقول صلى الله عليه وآله وسلم ((كلكم راع وكل راع مسؤول عن رعيته)).

وعليه أن يظهر الحب والولاء لكل طلبته ومن يحظر مجلسه أو مدرسته، يسأل عن حال مريضهم وغائبهم، ولا يكل

ذلك إلى غيره، يصبرهم بوعظه وتذكيره على الفقر والبلاء، ويحثهم ويبالغ في إصلاح ذات بينهم وأنه لادين مع الفرقة والعداوة والحسد، ويملي عليهم حديث رسول الله ﷺ: ((خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي)) المرة تلو المرة، ويحذرهم من ظلم المستضعفين في بيوتهم، وأن قهرهم وظلمهم من أفعال الجبابرة الظالمين، ويخبرهم أنهم بتربيتهم لأولاد هم وأهلهم دعاة إلى الله في بيوتهم، وأن ثمرة ذلك العمل من أعظم المكاسب، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ۝٧٤ أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ۝٧٥ خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ۝٧٦﴾ [الفرقان].

[الدعاء]

من الجوامع لخير الدنيا والآخرة ملازمة الدعاء والاستغفار، فعلى المرشد أن يتخذ الدعاء سلاحاً، وقد أخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قوله: ((الدعاء سلاح المؤمن))، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: ((الدعاء مخ العبادة))، ولا يغفل عن الدعاء لنفسه أولاً بإخلاص العمل وصلاح النية، وجميل الصبر والحلم، وكظم الغيظ، والعفو عن الناس، وأن الله يزينه بمكارم الأخلاق، وأن يلهمه في وعظه وتذكيره البصيرة في إصلاحهم وفي صلاحهم، ويدعوا لطلبته خاصة، وسائر المؤمنين عامة، ويحث طلبته على الدعاء، وأنه كنز من كنوز الآخرة، وأن لا فلاح ولا نجاح إلا بالدعاء، ويتضرع إلى الله أن يزرع الصلاح والعلم والعمل الصالح في طلبته وفي أولاده وأهل بيته، وعليه أن يستشعر الإجابة بتلاوة قول الله تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ۝٦٠﴾ [غافر]، وعليه أن لا يغفل عن الدعاء لكل من زاره في بيته أو في مدرسته، فإن ذلك سبب قوي في جلب قلوبهم، وتلقيهم لنصائحه بالقبول، وعليه بالدعاء لآل محمد، ويكثر من ذلك، ولا سيما في حضرة طلبته ومن يرشدهم ويعظهم، ويقرر في أذهانهم أن لولا أهل بيت المصطفى لما عرفنا الحق والنجاة، ويبالغ في

حثهم بأن يكثروا من الصلاة على رسول الله وعلى أهل بيته، وأنه من ذخائر الكنوز، ويقول لهم: مهما عملنا في حق آل محمد فإنا لا نستطيع أن نفي بحقهم، وهذا ما ندين الله به، والله على ما نقول شهيد.

- ومن الصفات التي ينبغي للمرشد أن يتحلى بها كي لا يتكاثر عمله أن يفكر بعقله في العلماء الذين هدوا العباد، وأصلحوا البلاد، كي لا يغتر بعمله وما قد أصلح؛ لأن الشيطان لعنه الله يغر الإنسان من حيث لا يدري، ويحاكي نفسه دائماً كم قد ستر الله عليه من الهفوات، وقد ندب إلى ذلك ربنا تباركت أسماؤه في قوله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ۝٣٢﴾ [النجم].

وما دام الإنسان زارياً على نفسه فهو بخير وفي خير، ولا يغفل عن تعداد شيء من النعم عليه وعلى أسرته، من العافية والستر والأمان وتيسير الرزق، وصرف الشر عنه والأشرار، وعليه أن يستشعر نعمة الله عليه بما وفقه له من الدعوة إليه، ويسر له ذلك، فبتعداد النعم الدينية والدنيوية يترسخ حب الله في قلبه، كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ((أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه، وأحبوني لحب الله، وأحبوا أهل بيتي لحبي)).

ويشرح للطلبة نعمة الله علينا بأهل البيت المطهرين، ويملي على السامعين أحاديث في فضلهم، وأن حبهم نجاة من

الهلكة، وأن الله الذي أمر بمودتهم في القرآن، وأن الصلاة بدون الصلاة عليهم باطلة، ومن ذلك ما ورد في أمير المؤمنين خاصة قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((يا عمار إذا سلك الناس وادياً وسلك علي وادياً فاسلك وادي علي ودع الناس))، وإن حبه إيمان وبغضه نفاق.

وعلى المرشد أن يطالع في سير الأئمة، ويعرف عنهم ما يحدث الناس به من الفضل، مما روي عنهم وذكر من أخبارهم، من العبادة والعلم والزهد والإيثار على أنفسهم، وأن الأمة المحمدية ضلت وأضلت في شأنهم إلا من عصم الله وهم القليل، وقد أشار إلى ذلك أمير المؤمنين بقوله لأصحابه: إنكم لن تكونوا إلا كالحكل في العين، أو الملح في الطعام، أو كما قال.

- ومن الخصال الحميدة والأفعال الرشيدة لكل داعية محاسبة النفس، روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا))، وكما قال أمير المؤمنين: (حاسب نفسك بنفسك، فغيرها من الأنفس لها حسيب غيرك).

فعلى المرشد أن يفكر دائماً فيما مضى من أيام عمره وفيما سجلت عليه الملائكة من المعاصي، وكيف المخرج منها، وكيف لو رآها يوم القيامة في صحيفته، وما عسى أن يكون الجواب عنها، فهذا أدعى لهضم نفسه، ومعرفته لقدرها، وقد

ورد: (رحم الله امرأً عرف قدر نفسه)، وقول الوصي عليه السلام: (ما هلك امرؤ عرف قدر نفسه).

وليحذر الخيانة في الإرشاد؛ فالخيانة فيه خيانة لله ولرسوله ولمن وجهه، ولا يعقب ذلك إلا الخذلان والضعة وعمى البصائر والعياذ بالله، وقد رأينا ذلك بأعيننا، وسمعنا عمن هذا حاله بآذاننا، نسأل الله السداد وحسن الخاتمة.

وليطل المرشد فكره كيف لو هلك يوم القيامة، ومن أرشدهم وكذلك من عرفهم من المؤمنين قد أنجاهم الله يوم القيامة، كي لا يغتر بعمله، ويغفل عن محاسبته نفسه، وله أسوة في ذلك بأمير المؤمنين عليه صلوات رب العالمين عندما قال: (كيف إن أنا عملت سيئة ربي محصيها وأنا ناسيها، فيقول: خذوه فغلوه..) إلى آخر كلامه.

نعم، كل البلاء من المهلكات مسكن أساسها ومرقد رأسها قلوب المكلفين، ولا يميطها إلا الخوف والخجل من أرحم الراحمين، الخوف من الهدينة عند الموت بما لا يحمد عقباه، والخجل مما بارز به ربه حيث لم يؤاخذه بعد فعله، ولم يفضحه بين خلقه، ولم يمنعه خيره، ولم يحرمه قبول التوبة؛ فهذه الأمور أدعى لقمع هوى النفوس، والله المستعان وعليه التكلان.

- وليعلم المرشد أن خير الخصال وصفات الكمال لا

تتم إلا بإكراه النفوس عليها، ومنها قبول نصيحة الناصحين وإلا كان ممن قال ربنا في شأنهم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾﴾ [البقرة]، وعليه أن يستشير أصحاب العقول فيما التبس عليه، كل على حدة، وأن يأخذ برأي الذي فيه أناءة، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: (لا صواب مع ترك المشورة).

وليحذر الفرقة بين الطلبة والمستمعين، ولا يصدق بعضهم في بعض، ومن شكا عليه من بعض إخوانه فليزجره بتحذيره من الغيبة، ويعده بالنظر في شكواه، ولا ينسى تذكيرهم وتحذيرهم من الفرقة وشت الشمل وأنها الحالقة، كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والحالقة هي التفرقة: ((لا أقول حالقة للشعر، ولكن حالقة للدين))، ويعظهم بقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت)) وينصحهم بالتحمل والصبر على بعضهم البعض، وأن الصبر وكظم الغيظ من صفات أهل التقوى والدين، ويخاطبهم ناصحاً أن لا يحتقروا أحداً لفقره أو لبلادته، ويقرأ عليهم قول الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجر:١٣]، ولم يقل ربنا سبحانه وتعالى: إن أكرمكم عند الله أثراكم ولا أوجهكم أو

أفصحكم أو أجملكم ولا غير ذلك من الصفات بل قال: إن أكرمكم عند الله أتقاكم، والطريقة الناجحة أن يجعل الصغير والكبير والغني والفقير والرفيع والوضيع صديقاً حميماً وأخاً شقيقاً: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴿١١﴾﴾ [الحجرات].

- ومن صفات الدعاة إلى الله الحميدة أن يزرع التعاون والمواساة في قلوب من يرشدهم، ويحثهم على الانفاق على الضعفاء والمساكين وأهل الحاجة، وأن الله حث على ذلك في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وأن الله يدفع بصدقاتهم الكثير من البلاء والشر وصرف الأشرار، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((يا علي، عليك بصنائع الخير فإنها تدفع مصارع السوء)) بهذا أو بمعناه.

وأن الذي يعطي الضعفاء متوكل على الله، والله يقول: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق:٣]، ويؤكد لهم أن أقل قليل مع القبول أكثر مما يتصورونه بكثير، ويخاطبهم كم قيمة الرغيف الواحد وكم يزن من الذرات؟ وقد أخبر الله جل وعلا أنه يحاسب الإنسان على الذرة، له أو عليه، وأن

الله يرتضي الكرم، ويثني على الكرماء، ويذم البخل ويمقت عليه، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ۝٩﴾ [الحشر]، وأن أصحاب العطاء لهم يوم القيامة أصدقاء وشفعا، وقد ذم الله الذين لم يهتموا بالضعفاء والمساكين بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ۝٣٣ وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ۝٣٤ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ۝٣٥ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ۝٣٦ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ۝٣٧﴾ [الحاقة].

وعلى المرشد أن يتجنب جرح المشاعر جملة وتفصيلاً، فلا يجرح المانعين للميراث مثلاً، ولا المثابرين والمتكالبين على الدنيا ولكن يعظهم بالتي هي أحسن.

وليعلم وليتيقن أن نفرة القلوب تشبه الصيد إذا أفلت من يد الصياد، وقلما أدبر فأقبل، وقد اختار المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم الرفق لأمته قائلاً: ((لم يكن الرفق في شيء إلا زانه، ولم يكن الخرق في شيء إلا شانه)) أو كما قال.

وعلى كل حال المرشد طبيب قلب، فلا يتسنم لهذه المهنة إلا بصير، ولا ينبئك مثل خبير، وعليه أن يكبر العامة في نفوسهم حتى يحبوه، فإذا أحبوه استجابوا له، وثَقَّلوا في قلوبهم وزن كلامه، ويخبرهم أن الصحابة كانوا كفاراً فتحولوا بدين الله وهدي رسول الله أبراراً وأخياراً، ويذكرهم

بنعم الله عليهم، ويحثهم على الإحسان إلى أهلهم وأرحامهم وجيرانهم، وأن هذه الخصال جالبة لخير الدنيا والآخرة، ولا يتخلق بها إلا من يرجى خيرهم، وعليه أن يرغبهم في التوبة، ولا يحلق بالأمور عليهم، أنه لا بد من قضاء الصلوات وغير ذلك، الذي تنفر عنه طباعهم، فإذا صلحوا فإنهم يبحثون عن المخرج لنفوسهم، وفي الحديث: ((يسروا ولا تعسروا)).

ويصور لهم نعمة الله الكبيرة بصلاح الولد والبنت والزوجة، وأن خيرهم يلحق من أصلحهم في حياته وبعد مماته، وأنه لا سعادة في هذه الحياة إلا بصلاح الأسرة، وأن الله كلفنا بذلك في قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ..﴾ الآية [التحريم:٦].

وقد شمل ما كتبته في هذه الصفحات كتابُ (الجناح إلى طريق النجاح) لمولانا علامة العصر سيدي وشيخي محمد بن عبدالله عوض أدام الله عزه، ففيه ما يغني عن غيره، غير أن الذي دعاني إلى كتابة هذه المواعظ طلب بعض طلبة العلم الشريف كثر الله عددهم، وزادني رغبة قول الله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴿٥٥﴾﴾ [الذاريات]، أسأل الله أن يجعله عملاً مقبولاً، وأن ينفع به كل من وقف عليه إنه سميع مجيب.

[من كلام لأمير المؤمنين عليه السلام في معرفة الله تعالى]

بسم الله الرحمن الرحيم

قد سبق أنه لا فلاح ولا نجاح إلا بمعرفة الله حق المعرفة فأردت أن أشرح كلمات لأمير المؤمنين عليه السلام في هذا الشأن، ومن الله أستمد الهداية والبصيرة إنه سميع مجيب، قال عليه السلام: (أول الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده):

جمل تشفي غليل العارفين، وتطرب لحلاوتها قلوب السامعين، وتتوق لشرح معانيها آذان المؤمنين؛ لأن الناطق بها عيبة علم النبي سيد الوصيين ويعسوب المؤمنين، فهذه الجمل شجر أصلها ثابت وفرعها في السماء، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، أولها قوله: (أول الدين معرفته) فلا دين ثابت وكامل لمن لم يعرف الله، ولو قطع من العمر مشواراً طويلاً، مصداق ذلك ودليله جواب النبي صلى الله عليه وآله وسلم على من سأله عن أفضل الأعمال فأجابه صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: ((ويحك إن مع العلم ينفعك كثير العمل وقليله، ومع الجهل لا ينفعك كثير العمل ولا قليله))، يؤخذ من هذا الحديث الشريف أن عبادة من لم يعرف الله وعدمها سواء، شبيه من يريد سفراً شاقاً من غده فلما نام رأى في منامه أنه قطع تلك المسافة الشاقة، فاستراحت لذلك نفسه؛ فلما أصبح خاب أمله،

ورجع إلى قلبه هم السفر ومشقته، فمن هنا علمنا أنه يتوجب على المكلف طلب العلم، وأول العلوم وجوباً معرفة الله حق معرفته؛ لذلك قال عليه السلام: (أول الدين معرفته).

نعم، المعرفة والعلم بالأشياء لا تحصل إلا من طريقين وهما: التصديق والتصور، والله سبحانه وتعالى لا تجوز عليه المعرفة بالتصور؛ لأن التصور من صفات المحدثات والموجودات بعد العدم، والله جلت عظمته لا أول لوجوده.

وقد بين هذه الصفة عليه السلام بقوله: (وكمال معرفته التصديق به) لأن المؤمن بوجود الله المضطرب في ذاته وفي صفاته لم تكمل معرفته بخالقه، حتى يعتقد أن الله لا يُعرَف بالتصور والتوهم كما تعرف المخلوقات، فإذا أيقن بذلك وتقرر في قلبه كذلك، لم يبق عليه من معرفة ربه إلا معنى الجملة الثالثة من قول أمير المؤمنين عليه السلام وهي قوله: (وكمال التصديق به توحيده)، ومعنى ذلك: أن يعتقد ويدين أن الله جلت عظمته هو المتفرد بالصفات الإلهية والقدم.

نعم، من صفاته عظم شأنه القِدَم، ومعنى ذلك أنه سبحانه وتعالى لم يسبقه وقت ولا زمان؛ لأنه خالق الوقت والزمان قال سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴿٣﴾﴾ [الحديد]، وما سواه من الذوات قد سبق وجودها العدم، ويلازمها الضعف والعجز،

وعاقبتها النهاية والفناء، بخلاف رب العالمين وأقدر القادرين.

إذا أطلق واحد على مخلوق دل على ضعفه، وإذا أطلق واحد على رب العالمين فهو يدل على العظمة والكمال، ولا يختص بهذه الصفة إلا ذو العزة والجلال.

- فالواجب على المكلف بعدما ينظر في مخلوقات الله نظر المستبصر لا نظر المتحير، وذلك عندما يشاهد أجساماً كثيرة مختلفة ومتفاوتة، وأعراضاً كذلك، وثبت له بالحجة العقلية أنه لا بد لها من موجد أوجدها، ومخالف خالف بينها في صغرها وكبرها، وخالف بين ألوانها وبين منافعها وسائر أعراضها، أن يصدق بمدبر عظيم، وصانع لهذه المخلوقات حكيم، وأنه لا يجوز عليه ما جاز عليها من الجسمية والعرضية والحدوث والاختلاف؛ لأن هذه الصفات تدل على ضعف المخلوقات والعجز، وأنها محتاجة في إيجادها إلى غيرها.

فإذا أيقن وصدق بذلك فعليه بإمعان النظر والتأمل في هذه الجملة الأخيرة من كلام أمير المؤمنين وهي قوله: (وكمال التصديق به توحيده) ومعنى ذلك: أنه لا يشاركه في ذاته وصفاته مشارك، فالقديم في حق الله تبارك وتعالى هو الذي لم يسبقه عدم، فهو جلت عظمته المتفرد بهذه الصفة،

وما سواه محدث وجد بعد العدم.

ومما يجب على المكلف اعتقاده في حق الله سبحانه وتعالى أنه قادر على جميع المقدورات، فهو المتفرد بهذه الصفة لا يشاركه فيها مشارك، هو الذي أوجد السماوات والأرض وما فيهما وما بينهما سوى أفعال المخلوقين، وقد أوجد جميع ذلك من العدم، وأنه سبحانه وتعالى لا تجوز عليه المشقة في خلق وإيجاد الكبير، فخلق الصغير والكبير وإيجادهما عنده على حد سواء، وكلما خلق مخلوقاً في وقت من الأوقات طال ذلك الوقت أم قصر فإنما خلقه في ذلك الوقت لحكمة ومصلحة يعلمها، لا لأنه احتاج من الزمن بذلك الوقت، وإلا لما صدق عليه سبحانه وتعالى أنه لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، وأنه على كل شيء قدير، وكل ذلك لأنه قادر لذاته، وغيره قادر بقدرة غيره؛ فالإنسان يزاول أعماله بجوارح وحركة وسكون هي غيره وهو محتاج إليها، والله سبحانه منزه عن الجوارح والحركة والسكون؛ لأنها من صفات الأجسام المحدثات، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشورى].

والإنسان يصنع الأشياء التي يقدر عليها مما أوجده رب العالمين، فلا فعل للإنسان إلا الحركة والسكون بخلاف رب العالمين فإنه يصنع ما أراد من العدم، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ

إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴿٨٢﴾﴾ [يس].

ومن صفاته الذاتية عالم، فهو العالم سبحانه وتعالى بما خلق وسوف يخلق على حد سواء؛ لأنه عالم لذاته لا بعلم هو غيره كالمخلوق، فالإنسان عالم بعلم هو غيره، والله الذي أقدره وأعلمه، فعلمه وقدرته وحياته محدودة وبقية صفاته، بخلاف أرحم الراحمين وأقدر القادرين، ومن هو بكل شيء عليم، فلا يعجزه شيء، ولا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، قال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام]، وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴿٤﴾﴾ [الحديد]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴿١٦﴾﴾ [ق]، فهو جلت عظمته المتفرد بالصفات الإلهية والكمال لا يشاركه فيها مشارك، وهذا معنى قول أمير المؤمنين عليه السلام: (وكمال التصديق به توحيده).

زادنا الله بصيرة في توحيد ربنا وخالقنا، ونستغفر الله من كل ذنب وتقصير، ونسأله أن يدخلنا في واسع رحمته، وأن لا

يحرمنا مجاورة الأبرار وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

[قول أمير المؤمنين عليه السلام: شقوا أمواج الفتن بسفن النجاة]

من هدي أمير المؤمنين ونصائحه الشافية قوله عليه السلام: (شقوا أمواج الفتن بسفن النجاة) نسأل الله السداد والهداية والنجاة من مضلات الفتن:

الكثير والكثير يواقعون المعاصي وهم يعلمون أنها معاصي، فكيف إذا تلاطمت أمواج الفتن؟ وهي كذلك في هذه الأمة منذ قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقد أخبر بها سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم في قوله: ((أتتكم الفتن كقطع الليل المظلم))، فلا وقت ولا زمان إلا وأهواء أهله مختلفة، وآراؤهم متفرقة، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ۝١٠٣ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ۝١٠٤﴾ [الكهف].

فالخلاف قائم بين أهل الحق وأهل الباطل، وبين أهل الباطل والباطل؛ لأن الباطل متعدد والحق واحد، وقد أمر الله وأوجب على المؤمنين أن يتبعوا الحق: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ۝١١٩﴾ [التوبة]، ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام:١٥٣]، وحاشا الله أن يترك الخلق بدون أعلام بينة، ودلائل على الحق ظاهرة، وهو القائل سبحانه وتعالى: ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ

بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال٤٢]، غير أن التعصب الأعمى والحسد والكبر أوردت معظم الخلق إلى الهاوية.

نعم، أراد الوصي عليه السلام بسفن النجاة أئمة الهدى الذين عناهم الله سبحانه بقوله: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ⑦﴾ [الرعد]، فإنك ترى المتمسك بحبلهم السالك منهجهم جبلاً راسياً لا تزعزعه العواصف، ولا يأبه وإن قل ناصره بالرواجف، يرى شبه المخالفين رأي عين، كم حاول الأعداء في إضلاله بالترغيب والترهيب، فالدول الظالمة تهدد الكثير ممن هذا حاله، وربما قتلوه بعد عرض المغريات من المال والمناصب، وربما غربوه عن وطنه وأهله، غير أنهم لا يرون أمامهم إلا حجراً صلداً أو جبلاً راسياً، كما قال أمير المؤمنين في الأشتر ©؛ لأن الله خلق شيعة آل محمد منهم، ففي الخبر القدسي: ((يا محمد إني خلقتكم من طينة عليين، وخلقت شيعتكم منكم، إنهم لو ضربوا على أعناقهم بالسيوف لم يزدادوا لكم إلا حباً))، فهم بهداهم يهتدون وقد وصفهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأوراق الشجر الملتف حول الأثمار، وهم والله كذلك من زمان المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم إلى زماننا هذا، وسيستمرون إلى منقطع التكليف، فالزم طريقتهم واسلك نهجهم يا طالب النجاة، فقد والله كفيت المؤنة بما أخبرك في شأنهم رب العالمين وسيد المرسلين وأمير

المؤمنين.

وتأمل جيداً فيمن خرج عن طريقتهم وخالفهم كيف غرق في محيطات الضلال وقد حاز العلوم الكثيرة، وقرأ المجلدات الكبيرة، فتحول بعد الميل عن طريقهم إلى عامِّي أعمى لا يدري متى أصاب ومتى أخطأ.

فليحذر طالب النجاة من الزيغ والانحراف، وعليه بالتواضع، وليعلم أن التقوى نور إلهي في قلوب أهل التقى لا يبرح عنها ما تواضعوا لله، وكلما عظمة نعمة الله في قلوبهم بأهل البيت المطهرين زادهم الله هدى ونوراً إلى نورهم وهداهم وآتاهم تقواهم، خبر من اللطيف الخبير، ولا ينبئك مثل خبير.

وليعلم على القطع المخالف لآخرهم فيما به التكليف عم أنه مخالف لأولهم، وذلك في توحيد الله وعدله، وما يترتب على ذلك؛ لأن المفرِّق بين الأئمة الهادين كالمفرق بين النبيئين، ولما قرنوا بكتاب الله في حديث الثقلين، أراد أعداء الإسلام طمس هذا الحديث وعارضوه بـ(سنتي) بدل (عترتي)، وظنوا أن مسخهم يخفى على أوتاد الدين وحملة شريعة رب العالمين، وقد علق العالم الرباني مولانا محمد بن عبدالله عوض حفظه الله على جرمهم وجرأتهم على هذا الحديث بقوله: المعلوم أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ترك في هذه الأمة كتاب الله

وسنته وسواء صح الحديث أم لم يصح فلسنا بحاجة تصحيح الحديث أنه ترك في هذه الأمة كتاب الله وسنته، والذي الأمة بحاجته حاجة ملحة هو بيان من هم حملة السنة الصحيحة هل هم أهل البيت المطهرين؟ أم النصبة المبغضين؟ بهذا أو بمعناه انتهى.

نعم، كلمة أمير المؤمنين وسيد الوصيين عليه السلام وهي قوله: (شقوا أمواج الفتن بسفن النجاة) تنبئ عما وراءها؛ لأنها حكمة جامعة، صاغها حكيم؛ لقد صور الفتن سلام الله عليه بالبحور التي هاجت أمواجها وعظمت في قلوب البحارة أخطارها، وغرق في ظلماتها الجم الغفير، ولا ينجو من شر تلك الأمواج إلا النزر اليسير، ولقد دلنا وكذلك من قبلنا ومن يأتي بعدنا على مراكب نفيسة ينجو راكبها وإن عظمت أمواج الفتن وكبرت المصائب والمحن ألا وهي سفن النجاة، أراد بذلك سلام الله عليه ورضوانه أئمة الهدى ومصابيح الدجى من أهل بيت النبوة، الذين قال فيهم جدهم المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم: ((أهل بيتي فيكم كالنجوم كلما أفل نجم طلع نجم)) وقال فيهم: ((أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق وهوى))؛ فسلام الله عليك يا هادي الأمة بعد نبيها ما أفصح كلامك، وأوضح لطالب النجاة بيانك، كيف لا تكون كذلك وأنت أمير

المؤمنين وسيد الوصيين، وعيبة علم المصطفى، وباب مدينة علمه؟ وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

[قول أمير المؤمنين عليه السلام: مجتني الثمرة لغير وقتها]

ومن نصائح وحكم أمير المؤمنين قوله عليه السلام: (ومجتني التمرة لغير وقتها كالزارع بغير أرضه، فوالله ما زلت مدفوعاً عن حقي، مستأثراً علي منذ قبض الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم حتى يوم الناس هذا):

حكمة يتلألأ نورها في جميع الآفاق، ويرى أن دون الوصول إلى غاياتها خرط القتاد جميع العشاق.

نعم، هذا الكلام قاله جواباً على من قال: أنت صاحب الحق بعد النبي فاطلبه، ومعنى ذلك: أن تطلب البيعة لنفسك فأنت أحق بها ممن أخذها قبلك، فأجاب عليهم بهذا الكلام؛ لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد أخبره بتلك الأمور، وما سوف يواجه من بعد موت النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى آخر لحظة من حياته، وكذلك ما بعد وفاته غير أنه سلام الله عليه صاغ هذا المثال ورسمه بمثابة حصن يأوي إليه الهاربون عند حيرة الضلال، وخيبة الآمال، والعجلة في كل الأمور لا تتم معها المآرب، والأناءة نتائجها نيل الرغائب.

نعم، ويأتيك بالأخبار من لم تزود، فإنك ترى يوماً من الأيام أو تسمع برجل يشار إليه بالأصابع يذكر بخير وله خصائص محمودة، أحرز نصيباً وافراً من العلم، وحضاً من العبادة، ذكره يسري بين الملأ كسريان عروق الشجرة الطيبة

في الأرض الخصبة، ويوماً من الأيام رأى ما هو فيه من النعم حقيرة، فأملت عليه نفسه ما أرادت وقالت: إذا أردت أن تكون سباقاً للخير فاجعل من نفسك علماً يُقتدى به، فلفت نظره إلى هذه الفكرة القاتلة لقلبه، والسالبة للبه وانطبق عليه:

لقد مات همام لوعظ إمامه وصادف قلباً للمواعظ واعيا

وإن اختلف المعنى، فهذا يُذم وذاك يُمدح.

نعم، قبل الفكرة الله الذي رفعه، وبعدها أراد أن يرفع نفسه فوكله الله إليها؛ لأنه جنى الثمرة لغير وقتها، فصار كالزارع بغير أرضه، نسأل الله السداد وحسن الخاتمة.

- الإنسان يخدع إذا لفت الناس أنظارهم إليه بسبب من الأسباب إما بمال أوجاه أو ذكاء أو علم، ولا سيما إذا كان بين طلبة العلم وفي مجتمعه خاملاً، وعزم أن يرفع من نفسه كما تقدم، فلما تغيرت نيته وكبر في نفسه وأصر على رأيه، وأعرض عن نصح الخواص من أصدقائه؛ فإنه فيما يستقبل من أيامه يبتعد عن عزه، ويقرب من ضعته، يقطع حبال الصلة بينه وبين المتقين، ويصل حباله الرثة بعلائق المفسدين، وأمثالهم من إخوان الشياطين، وعندها تلقي به ريح الفتنة في

مكان سحيق، نسأل الله السداد، وأن يعرفنا قدر أنفسنا أمين رب العالمين.

وآخر قرأ وأصلح وبهاتين الخصلتين كبر في عيون الملأ على قدر عزمه وإخلاصه ويوماً من الأيام عرضت له بلية فتاقت لها نفسه، وتطلع إليها بشوق ولهف وقال في نفسه: لو صليت بالناس واختطبت لكان ذلك أبلغ في نفوسهم وأنفع لهم، ولكن كيف الحيلة في زحزحة الإمام والخطيب عن منصبهما، وهو يعلم أنه إذا قدم على ذلك جرأة أن لاحظ له في ذلك، وأنه يواجه بعداوة الأكثر فتقول له نفسه وشيطانه: اطعن عليهما وصغر من حقهما شيئاً فشيئاً، حتى يملهم أكثر المصلين، فيرى أن هذه الوسيلة أنجح، وأنه لم يرد بذلك إلا صلاح وإصلاح المجتمع، ونية المؤمن خير من عمله!! وعلى ذلك فقس بقية الأشياء التي تتطلع إليها النفوس، فدخل بهذه الأمور في المثل: (ومجتني الثمرة لغير وقتها كالزارع بغير أرضه)، ونمثل لذلك بمثال من أمور الدنيا: من يكون له أولاد عدة والجميع يدبون في زراعتهم أو تجارتهم أو صناعتهم، ووالدهم هو الذي يرعى مصالحهم ويدير شؤونهم، وفيهم واحد من صغارهم والده به مفتون، يسمع لكلامه، وينصت لأشواره، ويحكي لأولاده الباقين ما حلي من كلامه، ويوماً من الأيام رأى أن يوليه ما جمعوه من المال

ليفتح بذلك المال سبباً من الأسباب الجالبة للأرباح بغير تجربة من الوالد لولده، وما هي إلا شهور أو سنوات وقد ضحى بتعبهم ومكاسبهم، وبعدها زرعت بينهم العداوة والبغضاء، وعقوق الوالدين، وقطيعة الأرحام، واقتراف الآثام، وكل ذلك لأن الوالد جنى الثمر قبل نضجه فصار كالزارع بغير أرضه، نسأل الله السلامة من مصائب الدنيا والآخرة.

ثم ختم سلام الله عليه كلامه متظلماً: أنه ما زال مدفوعاً عن حقه، مُستَأثراً عليه منذ قبض رسول الله إلى يوم نطقه بهذه الكلمات، كلام يحس قارئه أن قلب أمير المؤمنين يقطر دماً من شدة الغيض، ولسان حاله يقول: وهل أحد بلي في الإسلام مثل ما بليت به، من الذي فرج الشدائد والكروب عن المسلمين غيره؟ عرض نفسه سلام الله عليه ورضوانه لتقطيع أربعين سيف بأيدي أربعين كافر ليلة المبيت على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، من الذي وقى بنفسه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أحد؟ حتى قال جبريل: ((إن هذه المواساة يا محمد، قال: وما يمنعه إنه مني وأنا منه، فقال جبريل عليه السلام: وأنا منكما))، من الذي لم تطلب قريش يوم بدر إلا مبارزته هو وحمزة وعبيدة؟ من الذي أجاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم الخندق من الصحابة الأجلاء إلا علي عليه السلام وقد ضمن رسول

الله صلى الله عليه وآله وسلم الجنة لمن يبارز عمرو بن عبد ود العامري، فأحجم القوم، وكأن على رؤوسهم الطير، فقال أمير المؤمنين: أنا له يا رسول الله، فبرز لعمرو وقتله، وما فعل القوم في خيبر حين رجعت راية رسول الله مرتين، فأخذها أمير المؤمنين وفتح الله على يديه، وقد كان المصطفى أخبرهم في اليوم الأول أنه يعطي الراية من الغد رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، كرار غير فرار، يفتح الله على يديه، فوقع ما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ففتَح الحصن، وقتل مرحب اليهودي؛ لذلك وأمثاله يقول المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم: ((لولا أن تقول فيك طوائف من أمتي ما قالته النصارى في عيسى لقلت فيك مقالاً لا تمر بملأ إلا أخذوا من أثر طهورك وتراب نعليك يتبركون به، ولكنك مني وأنا منك)) بهذا أو بمعناه.

ولم يثبت سواه وعدة رجال من أهل بيته أمام الجموع الغفيرة من هوازن وثقيف يوم حنين، وذلك حين هرب المسلمون وتركوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعدوه، وكم لهذه المواقف من نظائر؟

فلما مات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نسوا أو تناسوا كل الذي سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكل الذي قدمه أمير المؤمنين للإسلام والمسلمين، وقد نقدهم الطيب المطيب عمار بن

ياسر رضوان الله عليه ورحمته وبركاته نقد البصير شعراً:

ما لقريش لا علا كعبها ... من قدموا اليوم ومن أخروا

يا ناعي الإسلام قم فانعه ... قد غاب عرف وبدا منكر

وليتهم راعوا حقه في بنت أشرف المرسلين، ومن هي إنها سيدة نساء العالمين، سيدة نساء الجنة، خامسة أهل الكساء، وأم الحسن والحسين، وقد أخبرهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن الله يرضى لرضاها، ويغضب لغضبها، ويقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((فاطمة بضعة مني)).

تقدمت بشكوى إلى أبي بكر حين أخذوا ما نحلها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحاججت أبا بكر فكتب لها صكاً على ما أعطاها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلقيها عمر بن الخطاب وطلب منها ذلك الصك فلما قرأه مزقه فعادت باكية مقهورة، ووالله ما كان يليق بمثلهم أن يقهروا أو يبكوا من هو دونها، فما بالك ببنت سيد المرسلين، وزوجة سيد الوصيين وأمير المؤمنين، وأم سيدي شباب أهل الجنة الحسن والحسين، ولله در العالم الرباني من دعا له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عبدالله ابن العباس ¤ ففي يوم من الأيام خاطبه عمر بن الخطاب وذلك بعد موت أبي بكر قائلاً: يا ابن العباس ما أرى ابن عمك إلا مظلوماً، قال ابن عباس: رد عليه ظلامته يا أمير المؤمنين،

قال: استصغرته قريش، قال: ما استصغره الله حين أمره أن يأخذ براءة من صاحبك ويقرأها على المشركين، وقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم في موسم الحج أمر أبا بكر بقرآة أول سورة براءة على المشركين، فنزل جبريل وأخبر النبي: أنه لا يؤدي ذلك إلا رسول الله أو رجل منه، عنى بذلك علياً؛ فأرسل النبي صلى الله عليه وآله وسلم علياً عليه السلام ولحق بأبي بكر وأخذ منه الآيات وقرأها على المشركين، فقال له ابن العباس -أعني لعمر- ما قال، فقال عمر: كرهت قريش أن تجتمع فيكم النبوة والخلافة، فأجابه ابن عباس ¤ بالآية وهي قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴿٩﴾﴾ [محمد]، فلقد والله أجاب ابن العباس ¤ بالجواب الكافي الوافي، لمكانة أمير المؤمنين والزهراء والحسن والحسين أباح الله لهم مسجد رسول الله مأوى ومسكن ولو كانوا جنباً، وأوجب على كل من له باب مفتوح إلى المسجد أن يسد بابه، وفيهم العباس وحمزة سيد الشهداء À، ولما مات أبو بكر وعمر قبرا في بيت ومسجد رسول الله، ولما مات الحسن بن علي عليه السلام أُخرِج من بيته ومن مسجد رسول الله؛ فإنا لله وإنا إليه راجعون، وبه من اتِّباع الهوى عائذون.

فيحق والله لأمير المؤمنين أن يقسم متظلماً ويقول ما قال، وعند الله تجتمع الخصوم.

هذا معاوية ابن من جمع الأحزاب يوم الخندق على رسول الله وابن آكلة الأكباد في يوم أحد يقول لأمير المؤمنين ضمن كتاب كتبه إليه: وكنت تقاد كما يقاد الجمل المخشوش، أراد معاوية في أيام أبي بكر وعمر وعثمان، فأجاب أمير المؤمنين على هذا الكلام بقوله: وأما قولك إني كنت أقاد كما يقاد الجمل المخشوش فأردت أن تذم فمدحت، وما على المرء أن يكون مظلوماً.

فبين عليه السلام أنه كان مظلوماً، وهو القائل عليه السلام: (يوم العدل على الظالم أشد من يوم الجور على المظلوم)، فأمير المؤمنين بين بقسمه ما وقع من الصحابة عليه إجمالاً، وأعظم ذلك ولاية المسلمين، وقد خاطب عمر بن الخطاب يوماً بقوله عليه السلام: (احلب حلباً لك شطره) يعني بايعت لأبي بكر ليردها عليك، فلما قربت وفاة أبي بكر أدلى بها لعمر، وقال في ذلك أمير المؤمنين يعني بذلك أبا بكر: (يا عجباه بينما هو يستقيلها في حياته إذ أوصى بها لآخر بعد وفاته) وهناك أمور يندى لها الجبين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ومن أراد الاطلاع على الحقائق ويأخذها من عين صافية في هذا الشأن وغيره فعليه بلوامع الأنوار لشيخ الإسلام وإمام أهل البيت الكرام وحجة الزمان مجدالدين بن محمد بن منصور المؤيدي سلام الله عليه ورضوانه ورحمته وبركاته.

- حين أظفر الله أمير المؤمنين في يوم الجمل بالنصر قال رجل من أصحابه: وددت أن أخي كان شاهدنا ليرى ما نصرك الله به على أعدائك، فقال له عليه السلام: (أهوى أخيك معنا؟) فقال الرجل: نعم يا أمير المؤمنين، فقال عليه السلام: (فقد شَهِدَنا، ولقد شهدنا في معسكرنا هذا أقوام في أصلاب الرجال وأرحام النساء، سيرعف بهم الزمان، ويقوى بهم الإيمان)، من النهج.

انظر بالله عليك أين بلغت النوايا الحسنة بأصحابها، وكذلك نوايا الشر، وفي الحديث عن خير البشرية صلى الله عليه وآله وسلم: ((نية المؤمن خير من عمله، ونية المنافق شر من عمله))، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم ((من رضي عمل قوم أشرك في عملهم، ومن أحب قوماً حشر معهم)).

لذلك ومن أجل ذلك وجب على المكلف البحث عن معرفة الحق وأهله لينجو من تبعات الباطل وحزبه قال الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ۝١١٩﴾ [التوبة]، ولما كانت مكاسب المتقين الأخروية بالأفعال والأقوال والنوايا أراد أن يبين لسالكي طرق النجاة فضل الموالاة لأولياء الله المعادين لأعداء الله، وقد ورد: أن الحب في الله والبغض في الله أقوى عرى الإيمان.

نعم، أمير المؤمنين قائد المعركة في يوم الجمل، ويحس

بوجدانه أن وليه يتلهف لنصرته في ذلك الموطن، ولو بعد عشرات أو مئات السنين، فقلب أمير المؤمنين راضٍ على من انطوى قلبه على هذه العقيدة غاية الرضا كرضاه على من يقاتل بين يديه وقد بذل غاية جهده، ولا سيما إذا كان غياب من تغيب من الأحياء لم يكن تخلفاً بعد العلم بها، وكذلك المحب لأهل الباطل الراضي بأعمالهم هو شريكهم ولو بعد مئات السنين، وقد قال عليه السلام في أهل الباطل: (أولهم لآخرهم قائد).

فهذه نعمة من الله على الراضي بأعمال أهل الحق، ولو كانوا ممن قال فيهم عليه السلام: (سيرعف بهم الزمان، ويقوى بهم الإيمان) فلله المنة على عباده المتقين.

وقد يضطرب في مثل هذا الخبر العلوي وما تقدم من قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((من رضي عمل قوم شارك في عملهم)) بعض الناس، فأقول: كيف تضطرب وقد أخبر حبيبنا المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم: أن من يذكر الله في مصلاه بعد الفجر حتى تطلع الشمس، فإن ذلك يعدل حجة وعمرة تامتين، وأن قضاء حاجة مؤمن تعدل صيام شهر واعتكافه، وأن الله يربي صدقة المؤمن حتى تصير اللقمة كجبل أحد، وأن من أطعم مسكيناً كمن أعتق رقبة بنص القرآن وأن ليلة القدر خير من ألف شهر، وللحاج والمعتمر والحاضر للمعركة زيادة ثواب

الإنفاق والمشي والتعب والغربة عن الأهل وغير ذلك، وربنا سبحانه القائل: ﴿أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى..﴾ الآية [آل عمران:١٩٥].

انظر في مؤمن بالله عبد الله ثمانين سنة، وكافر أشرك بالله ثمانين سنة ثم تاب وأسلم وأناب، فإنهما من أهل الجنة بنص القرآن وإجماع المسلمين، وللمؤمن الذي عبد الله ثمانين سنة ثواب الأعمال التي عملها في حياته، وهناك فوارق بين أعمال العباد وما يعطي الله عليها من الثواب بسبب الإخلاص، وقد خص الله قوماً بسبب خلوص حبهم لله ورسوله وللمؤمنين بقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾ [المجادلة:٢٢].

اللهم ارزقنا خلوص النية الحسنة في جميع الأعمال يا أرحم الراحمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

[قوله عليه السلام: (المقيم بين أظهركم مرتهن بذنبه..إلخ]

قوله عليه السلام (المقيم بين أظهركم مرتهن بذنبه، والشاخص عنكم متدارك برحمة من ربه):

هذه الكلمات من جملة كلام ذم به أهل البصرة لخذلانهم وتعاميهم عن الحق، وهم يعلمون بمكانة أمير المؤمنين وفضله وشرفه، وقد كانوا علموا ببيعته، فتبعوا عائشة وطلحة والزبير، وقد ذمهم بقوله: (كنتم جند المرأة، وأتباع البهيمة، رغا فأجبتم -أراد بذلك الجمل- وعقر فهربتم..) إلى قوله: (ودينكم نفاق) وصدق سلام الله عليه، المقيم بين الحثالة من الناس الذين لا يؤمن شرهم ولا يرجى خيرهم لا خير في البقاء بينهم، وما سبب بقاء من بقي بينهم إلا ذنب أصابه، فهو كالمرتهن بذلك الذنب، ولو تاب إلى الله من صميم قلبه لتداركه الله برحمته، وبعدها يرتحل من بينهم ولا يطيق البقاء بين أظهرهم، ويقاس على البصرة بقية البلدان التي أهلها عن دين الله القويم متغافلون، لا يتآمرون بينهم بمعروف ولا يتناهون عن منكر، فالمقيم بينهم من أهل الدين قد أصابه ما أصابه من بلائهم وإلا لما استطاع أن يبقى بينهم؛ لأن المؤمن يغضب لله إذا رأى منكراً لم يُغَيَّر، ويخاف على أسرته الخذلان بين المذنبين، ومن يهرب بدينه يرى في الأرض متسعاً ورزقاً واسعاً، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

﴿يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۝١٠٠﴾ [النساء]، والهجرة من بينهم من صميم التقوى، والله سبحانه يقول: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق:٣]، وأنا أظن أنه ذم أولئك الجفاة لا كل من سكن البصرة، كما قال معاوية في ذم أهل الشام عندما كتب إلى أمير المؤمنين: لأحاربنك بمائة ألف لا يفرقون بين الناقة والجمل.

وما أكثر المتعامين عن الحق بسبب الران الذي يغطي قلوبهم وقد تعامى في فتنة البصرة وحرب الجمل طلحة والزبير، وهما من كبار الصحابة، وأم المؤمنين عائشة حتى صارت القائد المطاع، وكم قد طرق سمعها من لسان رسول الله في فضل أمير المؤمنين وسيد الوصيين، وقد أخبرها بمسيرها ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عندما أخبر أن إحدى نسائه تنبحها كلاب الحوأب فقال: ((إياك أن تكون أنت يا حميراء)) غير أن الهوى لا يقر بصاحبه قرار، ولا تؤويه دار، إذا رأى عدوه قد رفعه الله يدبر لذلك العدو المكائد.

نعم، ويقاس على من ذمهم أمير المؤمنين من يجالس أعداء الدين ويخالط ظلمة السلاطين، فإن كان ذلك لوعظهم وإرشادهم فلذلك حدود، وإن كان طمعاً لما في أيديهم فقد

أهان نفسه وجعلها في مستنقع الضعة وقد كان غنياً عن جميع ذلك، غير أن الذنوب والسوابق السيئة توقع صاحبها في مصائد الشيطان وإخوانه، فليحذر المؤمن على دينه، ويثبت على يقينه، وفيما ذكر على وجوب الحب والولاء والتمسك بأهل التقوى والدين، والمجالسة لأهل العلم ومجالس الذكر من المؤمنين كفاية؛ لأن جميع ذلك لا يزيد المؤمن إلا إيماناً ومعرفة وتبياناً، فهم القوم لا يشقى بهم جليسهم.

نسأل الله السداد وحسن الخاتمة ونسأله أن يرسخ في قلوبنا حب المؤمنين وعداوة الفاسقين ومجاورة الأتقياء والصالحين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

[قوله عليه السلام: ليسبقن سابقون كانوا قصروا..إلخ]

قول أمير المؤمنين عليه السلام: (وليسبقن سابقون كانوا قصروا، وليقصرن سباقون كانوا سبقوا):

صدق سلام الله عليه هو يحكي هذا الكلام عن واقع رآه في أهل زمانه، فما بالك فيمن يأتي بعدهم.

قوله: (وليسبقن سابقون كانوا قصروا) فكم من مقصر في بداية أمره وفي أول عمره، تلافى ما فات، وأحرز السبق، كان غافلاً يقتصر على القليل، إن لم يكن مخذولاً في بداية أمره وأول عمره، ويوم من الأيام تغيرت نظرته لسبب من الأسباب، عندها نظر بعين قلبه، وأصغى بأذنيه إلى آيات الله وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وانقاد سلساً لأهل النصح في دين الله، عندها تيقن وعلم أن الدنيا وأطماعها كسراب بقيعة يحسبه الظمئان ماءاً، وأن عاقبة الدنيا تؤول إلى الخراب، فصحا من سكرته وأفاق من نومته، فأقبل إلى ما خلقه الله من أجله، وعند ذلك تجلت له الحقائق، وصدق أمير المؤمنين عليه السلام حين قال: (إن الله جعل الذكر جلاءً للقلوب، تسمع به بعد الوقرة، وتبصر به بعد العشوة، وتنقاد به بعد المعاندة)، فصارت آيات الله تأخذ مأخذها في قلبه، وتلك بداية الهداية، والخروج من سجن العماية، فأقبل يتلهف على ما فات من ماضي عمره، ويغتنم كل ساعة بقيت من حياته، يسهر ليله

ويكدح في نهاره، يلتقط الحسنات التقاط الطير الجائع للحب، يزاحم العلماء ويجالس الحكماء، ويستوحش من أهل الدنيا، يسعى على نفسه وأهله لطلب الكفاف من الرزق ليتقوى بذلك على طاعة الله، يذكر ماضيه فلا تجف له دمعه، حتى اجترح قلبه من الحزن، يعظم أصحاب التقوى والدين، ويرى نفسه عندهم صغيراً بيقين، وعند ذلك نزلت عليه رحمة الله، وزاده الله سبحانه وتعالى هدى إلى هداه، وآتاه تقواه، وفتح الله له باباً إلى نعمه ينظر إليها، من عافية ورزق وأمان، وستر وهداية وتوفيق، وغيرها مما لا يعد ولا يحصى، وفي كل يوم يبدو له جديد من نعم الله، وعند ذلك شمر وجد واجتهد حتى سبق وأدرك مقامات الصالحين، ووصل إلى ميادين السابقين، والحمد لله رب العالمين.

وآخر كان سابقاً في ميادين السابقين، كان يزاحم العلماء، ويجالس الحكماء، وله عبادة يعجز الراسخون عن وصفها، ومعيشة في زهد قل من يتصف بها، وإذا بفتنة قد عمت فأعمت تعمي إذا أقبلت وتتضح إذا أدبرت، إلا على من هم كالملح في الطعام وعند ذلك تغيرت نظرته بعدما أخذت الفتنة مأخذها في قلبه وتقلبت عنده الحقائق، فمن كان قدوة عنده يقتدي به صغر في عينه أو كاد أن يصغر، والتبست عليه الأمور في حق وباطل، ومحق ومبطل، فصاحب يقول

صواب، وصاحب يقول خطأ، وناصح ينقد، وغاش يمدح، وآخر يعتزل، كما قال أمير المؤمنين: (يقول أعتزل البدع وفيها وقع)، ومع ذلك كله يأتي إليه الناصح المشفق على حين غفلة من الناس يتلطف له بالكلام ويبذل له النصيحة على استحياء فلا يلقى قبولاً مرضياً لكلامه، ثم يأتيه الغاش محذراً من الفتن مخوفاً من الغيبة، معظماً للفرقة، وفي آخر المطاف يكيله بالمدائح كيلاً، حتى يستميله، قد كان صاعداً درج العزة والكرامة، وسالكاً لسبيل الأمن والسلامة، وإذا به يختار النزول على الصعود، ويكره لقاء من كان يحبهم ويألفهم، وعلى هذا جرت طريقة الكثير عند الفتن، يتحولون من أذكياء إلى أغبياء بسبب العصيان، وأخيراً من أحياء إلى أموات، فهم أموات الأحياء، فهذا معنى قول أمير المؤمنين عليه السلام: (وليقصرن سباقون كانوا سبقوا) نسأل الله السداد وحسن الخاتمة، والنجاة من مضلات الفتن بحق محمد وآله الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين.

[قوله عليه السلام: إن الأمر ينزل من السماء إلى الأرض كقطر المطر]

قول أمير المؤمنين عليه السلام: (فإن الأمر ينزل من السماء إلى الأرض كقطرات المطر إلى كل نفس بما قسم لها من زيادة أو نقص، فإذا رأى أحدكم لأخيه غفيرة في أهل أو مال أو نفس فلا تكونن له فتنة) النهج:

سبحان الله ما أوضح شرحه وبيانه للمبهمات، انظر بالله عليك في تشبيهه للمقادير بقطرات المطر؛ لأن كل نفس يأتيها ما كتب لها مما تسعد به أو ينغص لذتها.

نعم، أراد عليه السلام أن يبقى المؤمنون على نظام واحد في دينهم، وذلك النظام هو ما جاءنا به أزكى البشرية صلى الله عليه وآله وسلم، ومن ذلك النظام أن نترك الحسد وظلم العباد، ونترفع عن الحقد على المؤمنين لأجل ما أعطاهم الله من النعم، ولا نشمت عليهم بما قضي وقدر عليهم من البلاء والنقم؛ لأن ذلك جميعاً بقضاء من الله وقدر، إلا ما كان من أفعال المخلوقين فهي منهم وتنسب إليهم.

وقوله عليه السلام: (إلى كل نفس) أراد إلى كل كائن حي خلقه الله من الإنسان وغيره من سائر الحيوان، غير أن المقصود الأهم من كلامه عليه السلام أن يحذرنا من الذنوب التي تقع بسبب التظالم والحسد وغمط الحق وغير ذلك، ومن خلال تحذيره عليه السلام وقوله: (فلا تكونن له فتنة) أراد عليه السلام أن يتنزه المؤمن

الطالب بإيمانه رضوان الله والجنة عن أقذر الخصال المذمومة، وأن يتجنب أكل الوجبات المسمومة ألا وهي خصلة الحسد الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب))، وما سبب الحسد إلا حب الدنيا الذي هو رأس كل خطيئة، بخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الإنسان إذا كثر انتقاده على الكثير لامه الناس، فما بالك بمن يعترض على رب العالمين وأقدر القادرين وأحكم الحاكمين؟

ولو أنصف الإنسان نفسه لعلم وتيقن أنه لا حق له في حسد أحد من المخلوقين لعدة أسباب:

١ - أنه يعترض على من خلقه، وهذا من أقبح المعاصي.

٢- أنه لا يرضى أن يحسده أحد ولو علم بأحد يحسده لكرهه وعاداه.

٣- أنه يظلم الغير بحسده وتنقيصه بغير ذنب صدر من المحسود.

٤- أن الحسد مناف للشكر فهو بحسده يعرض نعمته للزوال.

٥- مهما تستر عن المحسود فإن الله يظهر ما يبيته للناس، وبظهوره يعرض نفسه للحقد من الآخرين، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

والحل الوحيد أن يشغل الإنسان نفسه بما خلق له ومن

أجله وأن يستحضر رقابة عالم الأسرار، من لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، وثانياً مراقبة الملائكة وما يكتبانه عليه، وعليه أن يتصور ما يبرز له يوم القيامة في صحيفته، وليعلم أن الله عدل حكيم سوف ينصف للمظلومين في أنفسهم وأموالهم وأعراضهم، قال تعالى: ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ۝٧٠﴾ [الزمر].

في حديث قدسي يقول الله تعالى: (يا ابن آدم لو سمعت وصفك من غيرك وأنت لا تعلم من الموصوف لسارعت إلى مقته)، فلنحذر نقمة الله وغضبه، فالتمادي في العصيان لا يعقبه إلا الانتقام، وللإنسان في نفسه شغل شاغل لو عقل عن الله أوامره ونواهيه، ومضى فيما خلق له.

نسأل الله السداد وحسن الخاتمة، وما نبه على هذا أمير المؤمنين عليه السلام إلا لعظم المصيبة والخطر على الحاسد، اللهم اشغلنا بعيوبنا عن عيوب خلقك يا أرحم الراحمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

[قوله عليه السلام: الزهادة قصر الأمل..إلخ]

قول أمير المؤمنين عليه السلام: (الزهادة قصر الأمل، والشكر عند النعم، والورع عند المحارم) النهج:

الحمد لله رب العالمين المعطي ما يشاء لمن يشاء، تأمل في هذه الكلمات الصادرة من لسان عيبة علم سيد النبيئين، قصيرة اللفظ، طويلة المعاني.

نعم، لم يعتبر الاقتصار على الاكتفاء بالقليل في المعيشة وخشونة الملبس إنه الزهد، ولكن الزهد عنده عليه السلام هو ما ذكره في هذه الجملة، أولها قوله: (قصر الأمل) فمن قصر في الدنيا أمله فإنه يكفيه القليل من كل شيء في هذه الدنيا، ويطمع في الكثير من طاعة الله، وقد حث على ذلك المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم في وصيته لأحد أصحابه عندما قال له: ((إذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء، وإذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح))، وفي وصيته صلى الله عليه وآله وسلم لآخر من أصحابه: ((يكفي أحدكم من الدنيا كزاد الراكب)).

فلا يتخلق بصفة الزهد التي ذكرها أمير المؤمنين عليه السلام وهي قصر الأمل في هذه الدنيا إلا من رسخت معرفة الله في قلبه وعظم الخالق في نفسه، فصغر ما دونه في عينه، وقطع حبال الأمل بمصاحبته في كل أوقاته للأجل، وغسل أوساخ الأطماع من قلبه بالعلم والعمل والإخلاص، حتى صفا

جوهره، وخلصت لله أعماله ونواياه.

فمن كان بهذه الصفات فإنهم يرون أجسادهم وقد خرجت منها أرواحهم، ثم يعجل بهم إلىٰ حفر مظلمة، كل الأحياء يرونها موحشة؛ لأنهم رأوا ذلك بأعينهم فيمن تقدمهم، فكرهت نفوسهم ملاذ الدنيا وأطماعها فزادهم الله هدىً إلىٰ هداهم، وآتاهم تقواهم، وقد وصفهم أمير المؤمنين بقوله عليه السلام: (حتىٰ كأنهم يرون ما لا يرىٰ الناس ويسمعون ما لا يسمع الناس، يهتفون بالزواجر في أسماع الغافلين، يرون أهل الدنيا مذبوحين بسكاكين الأطماع، وهم أحياء قد حالفت قلوبهم الهموم.

ثم ينظرون بأبصار قلوبهم إلىٰ الآخرة وإذا بهم يشاهدون من يقرأون في صحائفهم قول الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿**وَقَالُوا يَاوَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴿٤٩﴾**﴾ [الكهف]، فلما عقلوا عن الله أمره صاروا في دنياهم زاهدين، وفي آخرتهم راغبين ومسارعين، فأحرزوا مكاسب الأبرار ومراتب الأخيار، وكل ذلك حصل بعد الجهاد الأكبر لأنفسهم، وقمع شهواتهم، بذكر الموت وما بعده من وحشة القبور، وطول الغربة، وفراق الأحبة، ثم البعث والنشور، والحساب ونشر كل مستور، وبعدها فريق في الجنة، وفريق في

السعير.

نعم، الزاهد في هذه الدنيا هو من تخلق بثلاث خصال عند أمير المؤمنين عليه السلام، الأولى ما تقدم ذكره وهو قوله عليه السلام: (الزهادة قصر الأمل) وبعدها (الشكر عند النعم)، وهذه الجملة انطوت على ما لا يتأتى حصره، ولا يتحقق لمكلف وإن بلغت همته ما بلغت زبره، كيف واللطيف الخبير يقول: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [إبراهيم:٣٤]، غير أن أرحم الراحمين رضي منا بالحمد والثناء على مولي النعم جل شأنه وعظم سلطانه.

نعم، من الشكر الاعتراف لموليها بالإحسان وجزيل الامتنان، ومن الشكر الإتيان بالواجبات واجتناب المقبحات، ومن الشكر استقباح المكر السيئ والنوايا الخبيثة، ومن الشكر بذل الحق للصديق والعدو والقريب والبعيد، ومن الشكر العلم والاعتقاد أن النعم متجددة في كل يوم وليلة، ومن الشكر العلم أن كل إنسان لا يخلو من نعم الله طرفة عين، في عافية أو بلاء، وفي سراء أو ضراء، وفي شدة أو رخاء، وفي يقظة أو منام.

ومن الشكر العلم بمكانة الشكر، وقد خصه وأفرده نبي الله سليمان عليه السلام بالذكر، وذلك حين أنطق الله له في وادي النمل تلك النملة، فتبسم ضاحكاً من قولها وقال: ﴿رَبِّ

أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴿١٩﴾ ﴾ [النمل].

ثم ذكر عليه السلام تمام خصال الزهادة بقوله: (والورع عند المحارم) نعم، من الورع بل من صميم الورع ما دلك عليه العلماء أن تفعله عندما يلتبس أمر من الأمور عليك، فإذا تجاهلت نصيحتهم وقد أشار عليك أكثر من واحد فوالله الذي لا إله إلا هو إن بينك وبين الورع بعد المشرقين، وإنك ممن اتخذ آيات الله هزواً، ولا سيما إذا أخبروك أن ذلك واجب عليك متحتم؛ لأن جنة الله لا تنال إلا بالانقياد والتسليم لأوامره، والانتهاء عند نهيه، ولا طريق إلى ذلك إلا بالعلم والعلماء، قال تعالى: ﴿**فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴿٦٥﴾**﴾ [النساء]، وقال تعالى: ﴿**فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴿٤٣﴾**﴾ [النحل]، فعلى المسلم طالب النجاة أن يتقي الله ويتورع عن أموال الناس وأعراضهم، وأن يلقي لكل ما نهى الله عنه باله في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وإذا استطاع أن يدع ما لا بأس به خوفاً من الوقوع فيما به البأس، فقد سبق إلى الحظ الأوفر من الورع، مثال ذلك صاحب قلة ذات اليد أن يترك بعض

المشتهيات لخوف تراكم الديون، ثم المطالبة من أصحابها واللوم عند عجز أدائها، نسأل الله السداد، نسأل الله السداد، نسأل الله السداد، وصلى على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

[قوله عليه السلام: يوم العدل على الظالم أشد من يوم الجور على المظلوم]

ومن حكمه البالغة، وأثمار بساتين لسانه اليانعة قوله سلام الله عليه ورضوانه: (يوم العدل على الظالم أشد من يوم الجور على المظلوم):

صدق البشير النذير صلى الله عليه وآله وسلم عندما خاطب علياً عليه السلام: ((يا علي أنا المنذر وأنت الهادي، بك يهتدي المهتدون من بعدي))، انظر أيها المسترشد في نصيحته عليه السلام لكل ظالم، وتصبيره وتسليته لكل مظلوم، فيحق والله لكل من سمع هذه الكلمات أن يرتدع ويتوب ويبكي على ظلمه لغيره، فلقد بلغ النصح والزجر منتهاه.

أراد عليه السلام بيوم العدل يوم الإنصاف من رب العالمين واقدر القادرين لكل مظلوم يوم المحاسبة لكل شخص على مثاقيل الذر، قال تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة:٢٨٦]، وقال تعالى: ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ۝٧٠﴾ [الزمر].

وليس الحكم في ذلك اليوم للمظلوم برد حقه أو يقتص من الظالم بضربة في بدنه، أو قطع عضو من أعضائه، ولكن الحكم تخليد بين دركات جهنم أبد الآبدين، يصحب ذلك الحكم المؤبد أمر جازم لزبانية جهنم بما يستحقه كل ظالم من أنواع الإهانة والعذاب، يسحبون في سلاسل من نار على

وجوههم، قطعت لهم ثياب من نار، تضرب رؤوسهم بمقامع وهم مقيدون بقيود لا تحل، يلقى بهم إلى جهنم إلقاءً، حيث الحيات الفاغرة حيات كأعناق الإبل، وعقارب كالبغال، تحمل ما لا يقدر قدره من السموم التي تقطع قلوبهم وأوصالهم، يلبث عذاب سمومها أربعون سنة، أخبرنا بذلك رسول رب العالمين صلى الله عليه وآله وسلم، يتمنون الموت فلا يموتون، قال ربنا سبحانه وتعالى فيما حكى عنهم: ﴿وَنَادَوْا يَامَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ﴿٧٧﴾﴾ [الزخرف]، ﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴿١٠٧﴾ قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴿١٠٨﴾﴾ [المؤمنون].

يلقى عليهم عذاب الجوع والعطش فيعدل ما هم فيه من حر النار، فيستغيثون الزبانية فيقربون لهم شراباً من الحميم في كلاليب من نار، قال ربنا سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴿٢٩﴾﴾ [الكهف]، وقال تعالى: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴿١٥﴾﴾ [محمد]، يصيحون بأعلى أصواتهم فلا مجيب، ويتلطفون بأبلغ أخلاقهم فلا حبيب، تزفر بهم جهنم تارة، وأخرى تغيض بهم، لا أحد يملك تعبيراً عن خوفهم، ولا يعلم بمقدار ما هم فيه من العذاب إلا من خلقهم، وهو أقدر

القادرين، تتلذذ ملائكة الله بإلقائهم من على حافات جهنم كما يتلذذ الصفوة من أولياء الله في جنات النعيم.

لذلك قال أمير المؤمنين عليه صلوات رب العالمين: (يوم العدل على الظالم أشد من يوم الجور على المظلوم) وكما أن النعيم في الجنة لا أحد يستطيع أن يصفه كاملاً كذلك العذاب في النار.

فيا من أصغى بسمعه ووعى بقلبه وهم المقصودون بالخطاب انظر بالله عليك بعيني قلبك إلى وجوه المعذبين واسمع لصياحهم وهم يصطرخون فيها، وشاهدهم والحيات والعقارب تدفع فيهم سمومها، لا يحملون قيودهم إلا بكل عناء، تمر عليهم آلاف وملايين ومليارات السنين، وهم في جهنم يعذبون، فإنا لله وإنا إليه راجعون وبه من جهنم وعذابها عائذون، قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف:٤٠].

ففي هذه الجملة التي نطق بها أمير المؤمنين وصاغها تسلية للمظلومين ويحق بهم ورب الجنة والنار أن تزيدهم عند سماعها إيماناً إلى إيمانهم وصبراً ويقيناً يأويان إلى قلوبهم، فسلام الله على من وعظنا بها يوم ولد ويوم قتل ويوم يبعث حياً، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

[من كلام له عليه السلام خاطب به أبا ذر يوم أخرجه عثمان من المدينة]

من كلام خاطب به أبا ذر يوم أخرجه عثمان من المدينة وكان قد حذر الناس أن لا أحد يكلم أبا ذر ولا يشيعه، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: (يا أبا ذر إنك غضبت لله فأرجُ من غضبت له، إن القوم خافوك على دنياهم، وخفتهم على دينك، فاترك في أيديهم ما خافوك عليه، واهرب منهم بما خفتهم عليه، فما أحوجهم إلى ما منعتهم، وما أغناك عما منعوك، وستعلم من الرابح غداً، والأكثر حسداً، ولو أن السموات والأرض كانتا على عبد رتقاً ثم اتقى الله لجعل الله له منهما مخرجاً، لا يؤنسك إلا الحق، ولا يوحشنك إلا الباطل، فلو قبلت دنياهم لأحبوك، ولو قرضت منها لأمنوك).اهـ (من النهج):

من هو أبو ذر؟ هو جندب بن جنادة الغفاري صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الصحابي المشهور بصدقه وغضبه لله ووقوفه مع أمير المؤمنين وثباته على الحق واليقين، قال في شأنه النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((رحمك الله يا أبا ذر، تموت وحدك، وتدفن وحدك، وتحشر وحدك، وتحاسب وحدك، وتدخل الجنة وحدك، يكرم الله بك سبعة نفر يلون غسلك ودفنك)). وقال: ((ما أظلت الخضراء، ولا أقلت الغبراء أصدق لهجة من أبي ذر))، وقال فيه أمير المؤمنين عليه السلام (وعاءٌ مليء علماً

تركه الناس).

فكان رضوان الله عليه لا يصبر على باطل، ولا يصمت على منكر رآه، لذلك غربه عثمان من المدينة إلى الربذة في أرض تبعد عن المدينة ما يقارب ٢٧٠ كيلو شرق جنوب المدنية المنورة، لا ماء فيها ولا أحياء، وقد وفقني الله لزيارته فلله الحمد والمنة.

نعم، هذه طريقة العظماء الحلماء العلماء أن يواجهوا في هذه الدنيا جميع المتاعب، وأن يرموا بعظيم من الدواهي والمصائب، ومن تأمل في سيرة خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم وفيما لاقى وصيه ومن هو منه بمنزلة هارون من موسى إلا النبوة لم يستبعد شيئاً من المصائب على الصفوة من عباد الله الصالحين.

قول أمير المؤمنين عليه السلام: (يا أبا ذر إنك غضبت لله فارجُ من غضبت له) شهادة من سيد الوصيين وأخي سيد النبيين وخاتم المرسلين لك يا أبا ذر بأن غضبك لله، فهنيئاً لك ولو أقصوك إلى ما وراء البحار، فغداً يسفر الظلام، ولو كان صاحب آل ياسين موجوداً حين غادر أبو ذر المدنية لخاطبه قائلاً: صبراً أبا ذر على المصيبة، ويكفيك فخراً أن معك أمير المؤمنين وسيد الوصيين، وحالك أحسن من حالي يوم عدا عليّ قومي فقتلوني، فلما رأيت ما وهب لي ربي من الخير على المصيبة تمنيت بما قد قرأته يا أبا ذر في سورة ياسين حين قلت:

﴿يَالَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [يس]، ولسان حال الوصي عليه السلام يقول: يا أبا ذر إن من غضبت له يصحبك في حضرك والأسفار، وفي ليلك والنهار، فلا تخف ولا تحزن، إن الله معك.

ويا لها من كلمة تطفئ حر وألم سياط القهر، وتشعر بسبق من وجهت إليه والظفر، فأبو ذر حقيق بها، ولم يبق إلا أن يقول كما قال صاحب آل ياسين.

ثم خاطبه أمير المؤمنين بقوله: (إن القوم خافوك على دنياهم، وخفتهم على دينك) شهادة أخرى ممن هو من رسول الله كهارون من موسى إلا النبوة وفي حال خطاب أمير المؤمنين بهذه الكلمات لأبي ذر يذكر الإنسان مقام جبريل والنبي وأمير المؤمنين في أحد حين قال جبريل: ((إن هذه المواساة يا رسول الله، فقال النبي: وما يمنعه فإنه مني وأنا منه، فقال جبريل عليه السلام: وأنا منكما)).

انظر بالله عليك إلى الوفاء، وإلى طريقة العظماء الأوفياء، وأصحاب الرأفة والرحمة على عباد الله الصالحين وعلى المقهورين من الخيرة والصالحين، أمير المؤمنين يتقطع قلبه ألماً حين ينظر إلى صاحبه ووليه أبي ذر الغفار ¤ وهو يكفكف دموعه في عينيه، ويركب دابته ويصحب زوجته المسكينة، مع قلة في الزاد وبعد السفر ومفارقة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

ومسجده، ومن يتحمل الغربة عن سيد الوصيين وولديه الطاهرين، والبقية من الصحابة المرضيين؛ فإنا لله وإنا إليه راجعون.

(إن القوم خافوك على دنياهم) التي ذبحتهم بأحدِّ سكاكينها فقطعت أوداجهم، وأسالت دماءهم، حتى ركضوا الخيرة من أصحاب سيد المرسلين بأرجلهم وهم يفحصون بها بين دمائهم والتراب، فاهدأ يا أبا ذر وطمئن قلبك وأرح فؤادك، والزم ما أنت عليه من خوفك على دينك، فقدحك هو القامر، وبحر مكاسبك هو الغامر، وأنت يا أبا ذر بطريقتك هذه ماسك بأقوى عرى الإيمان، فيحق بمن علم بما أنت عليه أن يقول: هنيئاً لك يا أبا ذر.

نعم، لقد علموا جميعاً بغضب عثمان بن عفان على أبي ذر، فغضب أهل دولته أجمعون لغضبه، وتألموا من تعبه، وأنت الذي أغضبتهم وأتعبتهم؛ لأنك شغلتهم بلسانك، وآذيتهم على دنياهم التي ارتضوها واعتبروها مغنماً ومكسبا، ولا بد يا أبا ذر أن تكون على ذلك عند الله محقاً أو مبطلاً، فإن كنت محقاً فوحشتك بالتغريب أُنْس، وخوفك أمن وفقرك غنى، وإن كنت مبطلاً فقد شاركك من شهد لك أعني بذلك أمير المؤمنين وسيد الوصيين من هو لك قدوة في الصبر على القهر وملاقاة العناء حتى في آخر العمر، ومن يتأسَّى بالخيرة فقد

حاز السبق والظفر، ثم خاطبه عليه السلام بقوله: (فاترك في أيديهم ما خافوك عليه، واهرب منهم بما خفتهم عليه)، يا أبا ذر تركك لما في أيديهم لم يكلفك العسير من الجهد؛ لأنك مسجل في ديوان الزاهدين؛ لأنك عبت عليهم عكوفهم على الدنيا وخضمها وقضمها، فسارع بالهروب بالذي خفتهم عليه وهو دينك؛ لأنك عليه حريص، ومن حرص على شيء سهلت عليه ومن أجله كل الصعاب، وفي هذه الكلمات من الوصي عليه السلام غاية التسلية لصاحبه الوفي وحبيبه التقي.

ثم لفت نظر أبي ذر ¤ إلى غناه بما في قلبه من التقوى والدين بقوله عليه السلام: (فما أحوجهم إلى ما منعتهم، وما أغناك عما منعوك).

نعم، هم بحاجة ماسة لعلمك يا أبا ذر ونصائحك والاقتداء بك في صدقك وإخلاصك وصبرك وحقيق أنت بأن تكون كذلك في كل أمورك وشأنك، فخسارتهم منك هي الخسارة، أما أنت فما أغناك عما أنكبوا عليه، فلست من الراغبين في حطام الدنيا ومتاعها حتى تكون فقيراً ومحتاجاً لما في أيديهم من حطامها، ولو وصل إلى يدك لتركته فكن بحالتك التي أنت عليها قرير عين.

ثم قال عليه السلام: (وستعلم من الرابح غداً والأكثر حسداً) سلام الله عليك يا باب مدينة العلم لم تأت جملة من هذه

الكلمات مسلية لأبي ذر إلا وهي أكبر من أختها) انظر وتأمل ولك أن تقول في وصفها: نجوم زواهر، سبحان من خلقها، وإن شئت قلت: مجموعة من أغلى الجواهر لله أبو من صاغها، يا أبا ذر الفت نظرك وأعمل هذه الكلمات بعقلك، فإنك غداً ترى بعينيك صفقات الأرباح التي حزتها بما لقيت وما عانيت وسوف يحسدك على تلك الصفقات العدد الكثير والجم الغفير، وذلك حين توفى كل نفس بما عملت ويخسر هنالك المبطلون.

واعلم أن من غربك من مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو رضي بتغريبك تحاملاً عليك، فإنهم لا يُحسدون على ما في أيديهم اليوم، ولا يغبطون على جزاء ما عملوا غداً.

ثم قال عليه السلام: (ولو أن السماوات والأرض كانتا على عبد رتقاً، ثم اتقى الله لجعل الله له منهما مخرجاً) كأني بأمير المؤمنين سلام الله عليه وقد اشتدت أعصابه واحمر وجهه، عندما خاطب أبا ذر بهذه الجملة؛ لعظم ثقته بالله، فأراد أن يذكر أبا ذر بها، ويقوي عزائمه ويلفت نظره إلى عجز المخلوقين وضعفهم، وعظم خالقهم وقوته، فأنت يا أبا ذر غني بالله ونعم المولى ونعم النصير.

فلا تكن ضعيفاً عاجزاً ذليلاً مهانا، فالمعتصم بالله قوي وإن قل ناصره، وضعفت جوارحه، وغني بالله وإن قل ما في

يده، وحاجته إلى التفرد والتوحد كحاجته إلى طعامه وشرابه، كي تصفوا له مناجاة الله وبث همومه وشكواه إلى مولاه؛ لأنه يأنس بمناجاة الله في ظلم الليالي، وفي الخلوات كما يأنس الطفل الرضيع بثدي أمه.

نعم، اختار أمير المؤمنين عليه السلام ما خاطب به أبا ذر ¤ لعلمه أنه يتلقاها بالقبول، ويعظ عليها بالنواجذ، فهو أهل أن يخاطب ويخص بهذا الكلام من سيد الوصيين، وإمام المتقين وعيبة علم رسول رب العالمين، وكأن أمير المؤمنين عليه السلام يطفئ بهذه الكلمات جمراً موقدة.

ويخاطب أبا ذر ¤ قائلاً: (لا يؤنسنك إلا الحق، ولا يوحشنك إلا الباطل) خبر على التحقيق أن أهل التقى يأنسون بالحق لا بغيره من ملاذ الدنيا، فهم يعلمون أنهم على ملاذها يحاسبون، أما ثباتهم على الحق فإنهم عليه يثابون وبجزاء خالقهم عليه غداً يسعدون، ولسان حال الوصي عليه السلام يقول: فلا يجلبون بتغريبك إلا الوحشة؛ لأنهم ارتكبوا في حقك ذنباً عظيماً وجرماً جسيماً، وقد أهدوا إليك بفعلهم هذا أنساً من حيث لا يشعرون، وغداً يسفر الظلام ويخسر هنالك المبطلون.

ثم أخبره بما يرضيهم عنه قائلاً: (فلو قبلت دنياهم لأحبوك، ولو قرضت منها لأمنوك) صدق سلام الله عليه

فلو قبل أبو ذر ¤ دنياهم لقالوا: أبو ذر صدوق اللسان بخبر الصادق المصدوق صلى الله عليه وآله وسلم، قبل عطاءنا، فهلموا يا بقية المترددين في أمرنا، وورووا كل ما فيه من الفضائل.

ثم قال عليه السلام: (ولو قرضت منها لأمنوك) سلام الله عليك يا أمير المؤمنين، ورضوان الله عليك يا أبا ذر، أسأل الله أن يلحقنا بأمير المؤمنين وحزبه، وأن يجمعنا بهم في مستقر رحمته، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

[قوله عليه السلام: أصبحتم في زمن لا يزداد الخير فيه إلا إدباراً]

ومن كلام له عليه السلام: (وقد أصبحتم في زمن لا يزداد الخير فيه إلا إدباراً، ولا الشر فيه إلا إقبالاً، ولا الشيطان في هلاك الناس إلا طمعاً، فهذا أوان قويت عدته، وعمت مكيدته، وأمكنت فريسته، اضرب بطرفك حيث شئت من الناس هل تبصر إلا فقيراً يكابد فقراً، أو غنياً بدل نعمة الله كفراً، أو بخيلاً اتخذ البخل بحق الله وفراً، أو متمرداً كأن بأذنه عن سماع المواعظ وقراً، أين خياركم وصلحاؤكم وأحراركم وسمحاؤكم؟ وأين المتورعون في مكاسبهم والمتنزهون في مذاهبهم؟ أليس قد ظعنوا جميعاً عن هذه الدنيا الدنية، والعاجلة المنغصة، وهل خلقتم إلا في حثالة لا تلتقي بذمهم الشفتان؟ استصغاراً لقدرهم، وذهاباً عن ذكرهم؛ فإنا لله وإنا إليه راجعون، ظهر الفساد فلا منكر مغير، ولا زاجر مزدجر، أفبهذا تريدون أن تجاوروا الله في دار قدسه؟ وتكونوا أعز أوليائه عنده، هيهات لا يخدع الله عن جنته، ولا تنال مرضاته إلا بطاعته، لعن الله الآمرين بالمعروف التاركين له، والناهين عن المنكر العاملين له):

صدق سلام الله ورضوانه وصلواته وبركاته، عندما قال: (ما أكثر العبر، وأقل الاعتبار) فكلامه هذا عبر واعظة كشف به حقيقة زمانه، وما عليه أهله قوله عليه السلام: (ولقد أصبحتم في

زمن لا يزداد الخير فيه إلا إدباراً، ولا الشر فيه إلا إقبالاً) أراد عليه السلام بالخير هنا ما ترتاح له قلوب المؤمنين من الدين القويم، والإقبال على طاعة أرحم الراحمين، ولقد كان ذلك في بداية الإسلام من بعدما هاجر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة إلى أن قبض وفاضت روحه صلى الله عليه وآله وسلم، فلما مات تغيرت وتنكرت المعالم حتى أصبح الصديق عدواً والقريب بعيداً، وصار الأمر كما قال عليه السلام: (لا يزداد الخير إلا بعداً وإدباراً، ولا الشر في ذلك الزمان إلا إقبالاً) وفي كل أوان يبين النقص في الخيرة كما يبين النقص في دراهم الفقير المعدودة، فلا كبيرهم يرعى ما وعى سمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولا صغيرهم يصيب رشده، إلا من هم كالملح في الطعام، وقد أشار إليهم عليه السلام بقوله: (هم الأقلون عدداً، والأعظمون عند الله قدراً).

وما عشت أراك الدهر عجبا، ولقد رأى من أمرهم العجب وذلك حين أبوا وأصروا على آراءهم، فصيروا المتبوع تابعاً، والتابع متبوعاً، وتَزَخْرَف الباطل بذكاء صُنَّاعِه حتى صيروه حقاً في عيون الأكثرين، وخَفَتَ الحق حين قل أعوانه وولى زمانه ويبست أشجار معالمه وبرهانه، وعلى هذه الطريقة ولى الحق والخير هارباً، ومضى أصحاب الأهواء المختلفة والآراء المتفاوتة في جانب، والصواب والخير تحولا جانباً، وكلما ولى الخير حل محله الشر، كالنور إذا خفت حل

محله الظلام.

وكأنه عليه السلام يصف بكلماته زماننا وما نحن فيه من الفتن، وقد اطلع على الواقع في البلدان العربية بادئاً بأرض الشام، وخاتماً باليمن.

قوله عليه السلام: (والشيطان في هؤلاء الناس إلا طمعاً، فهذا أوان قويت عدته، وعمت مكيدته، وأمكنت فريسته): صور الشيطان لعنه الله في صورة عدو كاد أن يتغلب على عدوه وقد رأى بوارق النصر وعلامات الظفر.

قوله عليه السلام: (فهذا أوان قويت عدته) صدق سلام الله عليه أصبح الشيطان لعنه الله يصيد القلوب وهو جالس في مقره، لا يفوته هارب ولا يخفى عليه غائب، وهذا معنى قوله: (وعمت مكيدته وأمكنت فريسته).

ثم أشار إلى أحوال الناس في زمنه وإن شئت قلت في كل زمان فلا حرج: (اضرب بطرفك حيث شئت من الناس هل تبصر إلا فقيراً يكابد فقراً، أو غنياً بدل نعمة الله كفراً، أو بخيلا اتخذ البخل بحق الله وفراً، أو متمرداً كأن بأذنه عن سماع المواعظ وقراً) حث السامع عليه السلام أن ينظر في أحوال الناس وما هم عليه فلا يرى إلا فقيراً قد أهانه فقره، وشتت عليه أمره؛ لأن الظلمة منعوا حقوق الله أن تصرف في مواضعها، فبات الأكثر حواليهم جياعاً، يبحثون عن لقمة

العيش فلا يحصلون عليها إلا بعد التعب والنصب، وما أكثر هذا الصنف في أرض الله في كل زمان ومكان، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

(أو غنياً بدل نعمة الله كفراً) وتماماً الأمر كما قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾﴾ [الشورى].

ثم حكى صفة الصنف الثالث بقوله عليه السلام: (أو بخيلاً اتخذ البخل بحق الله وفراً) وكم له عليه السلام من ذم للبخلاء مثل قوله: (البخيل يعيش عيش الفقراء ويحاسب يوم القيامة محاسبة الأغنياء)، وقوله ذاماً للبخل: (البخل جامع لمساوي العيوب) ولو لم يكن إلا قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحشر].

وقوله بعد ذكر البخيل: (أو متمرداً كأن بأذنه عن سماع المواعظ وقراً)، سلام الله عليك يا أمير المؤمنين انظر في هذه الجملة الأخيرة، وهي قوله: (ومتمرداً..) إلى أخره، الكثير يسمع المواعظ مراراً وتكرارًا غير أنه لا يلقي لما خالف هواه بالاً، وإن وعظه الواعظون، وحذره المحذرون، تربطه علاقة قوية بكبار العلماء إلا فيما خالف هواه، وتراه يملي على جلسائه ما قال العلماء ونطق به الحكماء، وإذا طولب بحق لزمه تنكر لذلك الطلب وأرعد على من طالبه وأبرق، حتى

ولو عرض عليه قول ذلك العالم الذي يحكي للناس أنه يحبه ويألفه، فإنه يتمرد على غريمه، ويرفض ذلك الطلب، يلوم الناس على الحقير، ولا ينصف من نفسه في كبير.

وآخر قرأ كذلك وإذا وقع بينه وبين آخر خلاف ملأ به الأسماع، وذمه بكل نقيصة، يريد بذلك ضعته وتصغيره في عيون الآخرين، وكل ذلك تمرداً على الذي أمره ونهاه، وركب له عقلاً وبنعمه غذاه، ويكتفي من الدين أنه يعظ الناس، وأنه قد قرأ في كتب العلم، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ..﴾ الآية [البقرة:٢٠٦].

قوله عليه السلام: (أين خياركم وصلحاؤكم وأحراركم وسمحاؤكم؟ وأين المتورعون في مكاسبهم والمتنزهون في مذاهبهم؟ أليس قد ظعنوا جميعاً عن هذه الدنيا الدنية، والعاجلة المنغصة؟) كثيراً ما يحن شوقاً إلى إخوانه سلام الله عليه ويذكر لمن بحضرته ما كانوا عليه من هذه الخصال الحميدة والأفعال الرشيدة، وأحياناً يقول وا شوقاه لإخواني، يريد سلام الله عليه بإخوانه عمار وأمثاله وأبا ذر وأشكاله الذين أمر الله رسوله بحبهم وأخبره بمغيب ضمائرهم وأنهم يموتون على الهدى وأن قلوبهم من بداية إسلامهم إلى وقت وفاتهم طافحة بالتقوى، وأنهم كانوا يتورعون في مكاسبهم ولقمة عيشهم، وأنهم جبال راسية في مذاهبهم لا تزعزعهم

العواصف، ولا تخلخل عقائدهم القواصف آثروا طاعة الله ورضوانه على هوى أنفسهم، وفارقوا الدنيا محمودين الفعال.

ثم كرر الكلام سلام الله عليه في ذم أهل زمانه بقوله: (وهل خلقتم إلا في حثالة لا تلتقي بذمهم الشفتان استصغاراً لقدرهم وذهاباً عن ذكرهم، فإنا لله وإنا إليه راجعون):

سلام الله عليك يا أبا الحسن ما أحلى كلامك وأوضح بيانك، وما أعظم كرمك إلينا وإحسانك، وكأنك حي بين أظهرنا تحكي لنا ما نحن عليه وما عليه أهل زماننا، وكلمتك بالقضية وافية شافية التي قلتها في ذم أهل زمانك وهي: (اضرب بطرفك حيث شئت من الناس هل تبصر إلا فقيراً يكابد فقراً، أو غنياً بدل نعمة الله كفراً، أو بخيلاً اتخذ البخل بحق الله وفراً، أو متمرداً كأن بأذنه عن سماع المواعظ وقراً)، ولأمر ما قيل في كلامك الطاهر: إنه فوق كلام المخلوق ودون كلام الخالق، لا حرمنا الله شفاعتك ومرافقتك في دار كرامته إنه سميع مجيب.

ثم واصل عليه السلام كلامه بعد الاسترجاع قائلاً: (ظهر الفساد فلا مُنكِر مُغَيِّر ولا زاجر مزدجر، أفبهذا تريدون أن تجاوروا الله في دار قدسه وتكونوا أعز أوليائه عنده؟!! هيهات لا يخدع الله عن جنته ولا تنال مرضاته إلا بطاعته).

قوله عليه السلام: (فلا مُنكِر مُغيِّر يتشكى بهذه الكلمة من

خذلان أهل زمانه ففي بداية الأمر وبعد موت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انتقل البناء عن أساسه فكيف له بالنهي عن المنكر وحين تمكن من تغيير المنكر قامت عليه الأعداء من كل ناحية وتحول الأتباع بعد وقعة صفين إلى أذلاء وعبيد للدنيا، ثم بين لهم سلام الله عليه ما هم عليه من الدين كي لا يغتروا بصحبته بقوله: (أفبهذا تريدون أن تجاوروا الله في دار قدسه..) إلى آخر كلامه سلام الله عليه ورضوانه.

وأخيراً: (لعن الله الآمرين بالمعروف التاركين له، والناهين عن المنكر العاملين له).

نعم، هذا ديدن أهل الضلال من الفراعنة والجبابرة في هذه الأمة يوهمون الناس أنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فيغتر بهم الهمج الرعاع في كل زمان ومكان، أمثال بني أمية وبني العباس ومن سلك مسلكهم، ولا ينجو إلا من سبقت لهم من الله الحسنى، الذين أخذوا دينهم وعقائدهم من عين صافية سلكوا طريق الهداة في أصول دينهم وفروعه وعملوا بما علموا به عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أهل بيته مثل: ((أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وهوى))، ،قوله صلى الله عليه وآله وسلم: ((إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبداً: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، إن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض)).

ولا يمضي على هذه الطريقة إلا من أمعن النظر في عواقب الأمور وأطال فكره في الموت وما بعده ورسم أمامه الجنة والنار ونظر في المحشر وأحواله وفي يوم القيامة وأهواله وتمثل له أشخاص ممن عرفهم في زمانه يعضون على أيديهم ندماً يوم القيامة، وعاد على نفسه موبخاً وذاماً لعلمه بما وقع فيه من الزلات بعينه ولسانه وجنانه عند ذلك ضعف عن حمل أوزاره فهب من رقدة الغافلين وأقبل بوله وندم وإخلاص وعزم يطلب من الله حط الأوزار من صحيفته ويلح على من أحياه وسوف يميته ثم يبعثه ويحاسبه أن يضم خبره وأن لا يهتك ستره يوم القيامة بين خلقه، وعندها ترك الأذى لعباد الله المساكين واشتغل بنفسه وتلطف لمن قد ظلمه وآذاه طالباً بذلك البراء والسمحان مع خوف وبكاء وندم، نسأل الله من بيده أنفسنا أن يقبل توبتنا ويقيل عثرتنا ويغفر زلتنا إنه سميع مجيب، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

[كلام بليغ له عليه السلام في الحث على الصدقة]

ومن وصيته لولده عليهما السلام: (وإذا وجدت من أهل الفاقة من يحمل لك زادك إلى يوم القيامة فيوافيك به غداً حيث تحتاج إليه فاغتنمه وحمله إياه، وأكثر من تزويده وأنت قادر عليه، فلعلك تطلبه فلا تجده، واغتنم من استقرضك في حال غناك ليجعل قضاءه لك في يوم عسرتك):

سبحان الله العظيم وهل أحد من ذرية آدم عليه السلام حث على إطعام المساكين بمثل هذا الكلام؟ وللبلغاء سابقهم ولاحقهم أن يقولوا وهم صادقون: إن الإتيان بمثل هذه المجوهرات الزمردية والجنيهات الذهبية دونه خرط القتاد، ويكفي دليلاً أن الناطق بها أمير المؤمنين والمخاطَب بها الحسن السبط سيد شباب أهل الجنة، ولقد أصاب المفصل من خاطب أمير المؤمنين يوم حنين حين قال: بأبي ما أعلمكم وما أحلمكم وما أكرمكم يا أهل هذا البيت!! بهذا أو بمعناه، وذلك عندما قسمت الغنائم في غزوة حنين وأعطى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعض كبار القوم من مائة ناقة وبعضهم دون ذلك فقام يخاطب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويتلوم عليه شعراً:

أيقسم نهبي ونهب العبيد   بين عيينة والأقرع

أراد بالعبيد فرسه وعيينة والأقرع كبيران من كبار القوم،

فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((اقطع لسانه يا علي)) فأخذ أمير المؤمنين بيده فقال الرجل: ما تريد؟ قال: (أنفذ فيك حكم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم) فقاده إلى الغنائم فقال: (اختر ما أعطاك رسول الله أو مائة ناقة، وإنما نقص عليك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلمه أنك لست طماعاً مثلهما)، عند ذلك قال: بأبي ما أعلمكم وما أحلمكم وما أكرمكم يا أهل هذا البيت، وذلك حين علم بما أراد النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قوله: ((اقطع لسانه يا علي)) أن المعنى: زده كي نسلم من لسانه.

عودة إلى قول أمير المؤمنين عليه السلام: (وإذا وجدت من أهل الفاقة من يحمل لك زادك إلى يوم القيامة فيوافيك به غداً حيث تحتاج إليه فاغتنمه وحمله إياه وأكثر من تزويده وأنت قادر عليه، فلعلك تطلبه فلا تجده، واغتنم من استقرضك في حال غناك ليجعل قضاءه لك في يوم عسرتك) سبحان الله العظيم واهب الألسن ومانح العقول! انظر في قوله عليه السلام: (وإذا وجدت من أهل الفاقة) أراد عليه السلام بأهل الفاقة الفقراء، وهل شيء أكثر من الفقراء في زمانه وفي كل زمان ولكنه سلام الله عليه يريد أن يصور للحسن عليه السلام فضل الإنفاق على الضعفاء والمساكين وأنهم حقيقون بالبحث عنهم ولو تعب الباحث كي يحصل عليهم ويعطيهم مما أعطاه الله وأن يعتبر ذلك غنماً عظيماً ومكسباً جسيماً، ففي هذه الكلمات من الحث

ما لا يقدر قدره؛ لأنه عليه السلام قال: (من يحمل لك زادك إلى يوم القيامة فيوافيك به غداً حيث تحتاج إليه فاغتنمه).

وأي عاقل لا يرضى ولا يقبل بمثل هذا الكلام الإنسان من أصحاب الجميل يرى الفضل والتقدير لمن يحمل له أغراضاً إلى منزله أو إلى محل عمله، فما بالك بمن يحمل زادك إلى ذلك المقام وهو يوم الزحام، وأي إحسان مثل ذلك الإحسان.

فقد صور سلام الله عليه قبول الفقير لصدقة المتصدق وإحسان المحسن إليه بإحسان لا يساويه إحسان وأنه يستحق التقدير من المعطي وغاية الامتنان، وفي ذلك من الحث على الصدقات ما لا يقدر قدره، وفيه قمع النفس الأمارة بالسوء ودحر الشيطان الرجيم كي يسلم المعطي من عواقب الامتنان المحبطة للصدقات.

قوله عليه السلام: (وحمّله إياه) شبه الموقف عليه السلام بمن أثقله حمله وهو في طريق طويلة أو عقبة شاقة وهو على حمله حريص وإذا بمار مر به وهو خفيف الظهر، فقال له: هل لك أن أحمل متاعك وأنا عليه أمين إلى حيث تريد؛ فلما سمع هذا الكلام فرح فرحاً شديداً وبادر بإعطائه متاعه وما أثقل ظهره وقد صحب ذلك فرحٌ ملأ قلبه، وسرور عم جميع مشاعره، ولا سيما إذا تيقن أن ذلك الحامل صدوق في قوله ووفي بأداء

أمانته، ومن أصدق من الله في أداء جزاء من أعطى الفقراء والمساكين وعطف عليهم، وقد سماه الله قرضاً حسناً، وشبهه سبحانه باقتحام عقبة أو فك رقبة.

وعلى الشيطان لعنة الله ولعنة اللاعنين حين ملأ القلوب خوفاً من الفقر المدقع حتى أخاف بتوعده لعنه الله أصحاب القناطير المقنطرة من الذهب والفضة فأصبح الجياع بينهم لا يحصى عددهم، يلبسون الثياب الرثة ويكدحون في طلب اللقمة الجافة قد ظهر اليأس على وجوههم وملأ الخوف قلوبهم يتكففون الناس وهم أذلاء وبسبب ذلك فإنك لا ترى من يحتسب الجزاء في يوم الحساب إلا من يعدون بالأصابع في كل زمان.

ثم خاطب الحسن السبط عليه السلام بقوله: (أكثر من تزويده وأنت قادر عليه، فلعلك تطلبه فلا تجده) وما أعطاهم الله النبوة والعلم والحكمة إلا لشأن، وأنزل في فضلهم وشأنهم: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ۝٩ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ۝١٠ فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ۝١١ وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ۝١٢﴾ [الإنسان].

قوله ـ: (وأكثر من تزويده وأنت قادر عليه فلعلك تطلبه

فلا تجده) أراد بذلك أن يعطي الإنسان في حال غناه وعافيته وأن لا تغره الأماني الخادعة والآمال الكاذبة حتى توافيه منيته فيخلّف ما جمع لمن خلفهم بعده يتهنأون به ويكون لهم جماله وعليه وباله، وقد شمله من عناهم الله بقوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الحاقة].

ثم قال عليه السلام: (واغتنم من استقرضك في حال غناك ليجعل قضاءه لك في يوم عسرتك) نعم، القضاء في ذلك اليوم أبلغ من العافية بعد البلاء، وأبلغ من وجود الماء بعد الظمأ في اليوم الصائف، وأعظم من الأمان للهارب الخائف، وألذ من الفطور عند الصائم؛ لأنه قضاء في يوم لا تملك فيه نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله، فالسعيد من يغنم الفرصة في بقية أيامه يقدم رحله مع الفقراء أمامه ويرتاد لنفسه زاداً يبلغه فأيام الحياة معدودة والأعمار محدودة ولا يدري الإنسان ما اسمه غداً، كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم، والسعيد من وعظ بغيره.

وقد رأينا من بخلوا على أنفسهم بشيء من أموالهم كيف عفرت خدودهم بين التراب وفارقوا أحبابهم والأصحاب فكتبوا في عداد المنسيين لا يسعدون باكياً ولا يجيبون داعياً،

فلا واعظ أبلغ من وعظ الإنسان لنفسه.

نسأل الله الذي أعمارنا بيده وأرزاقنا من عنده أن يعطف قلوبنا على الضعفاء والمساكين وأن يجعل فينا خيراً يجده إنه على ما يشاء قدير، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

• توجيه آخر من سيد الوصيين لولده وولد سيد النبيين عليهم وآلهم صلوات رب العالمين: (واعلم أن الذي بيده خزائن السموات والأرض قد أذن لك في الدعاء وتكفل لك بالإجابة، وأمرك أن تسأله ليعطيك، وتسترحمه ليرحمك، وتكفل لك بالإجابة ولم يجعل بينك وبينه من يحجبه عنك، ولم يلجئك إلى من يشفع لك إليه، ولم يمنعك إن أسأت من التوبة، ولم يعاجلك بالنقمة، ولم يعيرك بالإنابة، ولم يفضحك حيث الفضيحة بك أولى، ولم يشدد عليك في قبول الإنابة، ولم يناقشك بالجريمة، ولم يؤيسك من الرحمة، بل جعل نزوعك عن الذنب حسنة، وحسب سيئتك واحدة وحسب حسنتك عشراً، وفتح لك باب المتاب وباب الاستعتاب، فإذا ناديته سمع نداءك، وإذا ناجيته علم نجواك، فأفضيت إليه بحاجتك، وأبثثته ذات نفسك، وشكوت إليه همومك، واستكشفته كروبك، واستعنته على أمورك، وسألته من خزائن رحمته ما لا يقدر على عطائه غيره من زيادة الأعمار وصحة الأبدان وسعة الأرزاق، ثم جعل في يديك مفاتيح خزائنه بما أذن لك فيه من مسألته، فمتى شئت استفتحت بالدعاء أبواب نعمته، واستمطرت شآبيب رحمته فلا يقنطنك إبطاء إجابة فإن العطية على قدر النية، وربما أخرت عنك الإجابة ليكون ذلك أعظم لأجر السائل وأجزل لعطاء

الآمل، وربما سألت الشيء فلا تؤتاه وأوتيت خيراً منه عاجلاً أو آجلاً أو صرف عنك لما هو خير لك، فلرب أمر قد طلبته فيه هلاك دينك لو أوتيته، فلتكن مسألتك فيما يبقى جماله ويفنى عنك وباله، فالمال لا يبقى لك ولا تبقى له).

وبعد أن حث أمير المؤمنين ولده عليهما السلام بالوصية السابقة في رحمة الضعفاء وإطعامهم وحكى له فضلها ونتائجها، أردفها عليه السلام بما يلي:

(واعلم أن الذي بيده خزائن السموات والأرض قد أذن لك في الدعاء وتكفل لك بالإجابة) أراد عليه السلام توثيق الصلة بين ولده المعصوم وبين خالقه ورازقه، وإن كانت الصلة بين الحسن السبط عليه السلام وبين الله ثابتة متينة، ولكن من باب قول الله تعالى لسيد الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾ [الأحزاب:١]، وقوله عز شأنه: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ﴾ [طه:١٣٢].

ولَمَّا أعطى الله أمير المؤمنين عليه السلام الفصاحة وكلامه بين كلام البلغاء كالنجوم في السماء كما قال أحد العلماء، فإن المؤمنين ينتفعون به في كل زمان ولسان حال من يقرأه يقول: أنا المعني بهذا الكلام، وكأنه عليه السلام حي بين أظهرنا يعظنا بما لفت عليه السلام نظر سيد شباب أهل الجنة وريحانة نبي هذه الأمة ولد البتول الزهراء وخامس أهل الكساء إلى عظمة هذا

الخالق العظيم والرازق الكريم بقوله: (واعلم أن الذي بيده خزائن السموات والأرض) ومفاتيحها بيده فلا أحد من المخلوقين يملك مثل هذا الملك العظيم (قد أذن لك في الدعاء وتكفل لك بالإجابة) نعم مدح الله أهل مناجاته الذين يدعون ربهم خوفاً وطمعاً، وتمم الله عليهم وعلينا النعمة وعلى كل مكلف بقوله: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:٦٠]، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾﴾ [النساء]، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾﴾ [النساء]، لذلك قال عليه السلام: (وأمرك أن تسأله ليعطيك، وتسترحمه ليرحمك، وتكفل لك بالإجابة).

نعم، أطلق الله سبحانه في قوله: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:٦٠]، وكم الإنسان محتاج له من الأرزاق والعافية والستر والأمان وصرف الشر والأشرار والحفظ له ولما في يديه ولمن يعول فلا غنى عن الله طرفة عين، فلا ينبغي أن نقصر في دعاء من يملك الحاجات وبيده خزائن الأرض والسموات.

قوله عليه السلام: (وتسترحمه ليرحمك) أراد عليه السلام بذلك التوبة النصوح والالتجاء إلى الله من صميم القلب، والإنسان إذا أقبل إلى الله بالتوبة والإنابة فإنه يردد في دعائه ويتضرع إلى مولاه بـ(يا أرحم الراحمين) وهو القائل سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ

﴿يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر].

ومن طبيعة البشر أن المسيء إلى غيره إذا أراد الاعتذار فإنه يتلطف إليه بالاعتذار واللين والمدح والثناء حتى يسترضيه، فالله سبحانه وتعلى أولى بذلك وهو جلت عظمته أقرب القابلين للعذر، وخير المعطين في العسر واليسر، وكيف لا يكون ربنا تبارك وتعالى كذلك وهو الذي نبهنا على دعائه ليعطينا ودلنا على قبول توبته علينا ليرحمنا فله الحمد على جزيل عطائه وله الشكر والثناء على رحمته وغفرانه.

ثم قال عليه السلام: (ولم يجعل بينك وبينه من يحجبه عنك) انظر بالله عليك لهذا البيان والتوجيه سلام الله على من دلنا عليه وقال عليه السلام: (ولم يلجئك إلى من يشفع لك إليه) كلام يشفي من البلاء تنور له القلوب بعد الظلمة، وتستريح له الخواطر بعد الغمة، ولم يجعل بينك وبينه من يحجبه عنك لأنه سبحانه حاضر كل نجوى وشاهد كل ملأ ولا يحتاج إلى الحاجب وإلى مراجعته إلا المخلوقون الضعفاء، أما رب العزة جلت عظمته فهو قريب ممن دعاه ومجيب لمن ناجاه.

وكم طالب لحاجة ملحة قد عاد من عند باب أصحابها خائباً بسبب من يحجبه ويمنعه من الوصول إلى صاحبها أما

رب العالمين عظم شأنه فلا وجود لحاجب يحجب أصحاب الحاجات عنه ولا مانع يمنعهم وليس الإنسان بحاجة لشفيع بينه وبين الله بل شفيعه لسانه وقضاء حاجته مقرون بصلاح جنانه.

ثم قال عليه السلام: (ولم يمنعك إن أسأت من التوبة، ولم يعاجلك بالنقمة، ولم يعيرك بالإنابة) سبحان من عظمت رحمته، وطالت عن المسيئين أناته، محب التوابين، ومن عنده طلبات الراغبين، لم يمنع أحداً من خلقه عن التوبة وإن عمت وعظمت معاصيه، ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا**﴾ ولم يعاجل أكبر المسرفين بالنقمة، خلق نبي الله وكليمه موسى عليه السلام وقد كان فرعون لعنه الله موجوداً يقتل أبناء بني إسرائيل ويستحيي نساءهم، وأمهله الله مع ذلك وهو يدعي الربوبية ووجه إليه موسى وهارون سلام الله عليهما بتسع آيات بينات، وأمر جلت عظمته وكبرت رحمته نبيه موسى بأن يقول له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى؛ فكفى بهذا دليلاً على أناة الله عن المسيئين، وعدم تعجيل الله بالنقمة للعاصين.

ثم قال سلام الله عليه: (ولم يعيرك بالإنابة) ولم نسمع أنه عير أحداً من خلقه بالعودة إليه بل أكرمه وأخبرنا في كتابه أنه يحب التوابين فسبحانه ما أرحمه وأكرمه.

وقال عليه السلام: (ولم يفضحك حيث الفضيحة بك أولى) بعد

الإساءة لأنك تجرأت على ملك السموات والأرض ومن فيهن حين عصيته، فسترك وقد كنت حقيقاً بالفضيحة، ودلَّك على ما يجبر مصيبتك بالتوبة.

ثم قال عليه السلام: (ولم يشدد عليك في قبول الإنابة) لم يطلب ربنا جلت عظمته من التائب كفلاء ولا مالاً ولا أملى عليه شروطاً عريضة طويلة، بل قال سيد المرسلين عليه وآله صلوات رب العالمين: ((قل: أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه تغفر ذنوبك يا شيخ))، وفي حديث آخر: ((من قال: أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه غفرت ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر ورمل عالج)).

قوله عليه السلام: (ولم يناقشك بالجريمة) لماذا زنيت؟ أو سكرت؟ أو قتلت؟ أو ظلمت؟ أو أربيت؟ أو أشركت؟

وقوله عليه السلام: (ولم يؤيسك من الرحمة بل جعل نزوعك عن الذنب حسنة) قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ [البقرة]، بدأ بالتوابين وقال: إنه يحبهم فكيف لا يبادر الإنسان بالتوبة النصوح في كل وقت وحين كي يصير من أحباء الله، وقد أثابه على ترك العصيان فله الحمد والامتنان.

ثم بين عليه السلام كرم المولى جل شأنه بقوله: (وحسب سيئتك

واحدة وحسب حسنتك عشراً) سبحانك يا جزيل العطاء، لا يشقى عليك إلا شقي، ولا يتعامى عن كرمك وإحسانك إلا غبي قد أثقلته ذنوبه وطفحت في أرضك عيوبه.

ثم خاطب ولده عليهما السلام بقوله: (وفتح لك باب المتاب وباب الاستعتاب فإذا ناديته سمع نداءك وإذا ناجيته علم نجواك) جعل الله على باب التوبة دليلاً من وحيه وهو قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ...﴾ الآية [طه:٨٢]، وغير ذلك الكثير في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

قوله: (فأفضيت إليه بحاجتك وأبثثته ذات نفسك وشكوت إليه همومك، واستكشفته كروبك، واستعنته على أمورك) تأمل في قوله عليه السلام: (فأفضيت إليه بحاجتك) عندما يندم الإنسان على المعاصي وكبائر الذنوب ويتوجه بقلب نادم صادق إلى مولاه ويفوه بها رب العالمين أعلم به من عبده، فإنه يذكر المخازي بين يدي ربه بأعيانها فيقول مثلاً: يا رب سرقت، زنيت، سكرت، اغتبت، عقيت والدي، ظلمت أرحامي، ونحو ذلك مما اقترفه ويريد التخلص من تبعاته ويحس من نفسه بالراحة وبالرضا من ربه ولو كان عند مخلوق يسترضيه ما تجاسر أن يذكر شيئاً من ذلك ولو ذكر صاحب الحق شيئاً لأورد عليه المبررات.

فسبحان من علم فستر، ومن دعاء جبريل عليه السلام الذي

علمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (يا من أظهر الجميل وستر القبيح، يا من لا يؤاخذ بالجريرة ولا يهتك الستر).

قوله عليه السلام: (واستعنته على أمورك) فإنك تتنصل بين يدي مولاك وتطلب منه العون على ترك المعاصي، وقد أوعدك بأنه يجيبك بقوله تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:٦٠].

ثم قال عليه السلام: (وسألته من خزائن رحمته ما لا يقدر على إعطائه غيره من زيادة الأعمار وصحة الأبدان وسعة الأرزاق) صدق سلام الله عليك يا أمير المؤمنين، فلا يزيد في العمر إلا رب العالمين ولا أحد من المخلوقين يبيع العافية بالأثمان وإلا لكانت أغلى سلعة على وجه الأرض، والأرزاق ربنا هو القائل: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الزخرف].

ثم قال عليه السلام: ثم جعل في يديك مفاتيح خزائنه بما أذن لك فيه من مسألته فمتى شئت استفتحت بالدعاء أبواب نعمته واستمطرت شآبيب رحمته) لأنه سبحانه القائل: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ فما أراده الإنسان من مولاه فلسانه حصانه عند من خلقه ورباه.

ثم لفت نظر الحسن عليه السلام إلى حكمة الله عز شأنه حول الإجابة وسرعتها وإبطائها فقال: (فلا يقنطنك إبطاء إجابته،

فإن العطية على قدر النية، وربما أخرت عنك الإجابة ليكون ذلك أعظم لأجر السائل وأجزل لعطاء الآمل، وربما سألت الشيء فلا تؤتاه، وأوتيت خيراً منه عاجلاً أو آجلاً، أو صرف عنك لما هو خير لك)؛ لأن الغيب لا يعلمه إلا الله، والإنسان يريد بعض الأمور الدنيوية، ولا يعلم بعواقب الأمور، قد يدعو الله بأن يهب له ولداً وفي علم الله أنه لا خير في ذلك الولد لو أعطاه لعدة أسباب، إما عاقاً فيكون دماراً لحياته، أو فتنة فيتسبب في ضياع دين والده أو والديه، أو فاجراً فيهتك ستر أبيه، أو يحمله الأحمال الثقال وعلى هذا فقس بقية المرغوبات.

نعم، قد يتمنى الإنسان بيتاً في بعض الأماكن التي يهواها فلا يعطاه وفي علم الله أنه لو أجاب دعوته عندما طلب من ربه ذلك البيت لكانت عواقب ذلك وخيمة إما جار من جيرانه في ذلك المحل يهتك ستره في أي حرمه أو ماراً من جنب ذلك البيت يصدم أحب أولاده إليه أو طامع في الدنيا أصابه أو أصاب أسرته بنظرة تهلك حرثه ونسله فعلى الإنسان أن يسلم أمره إلى ما أراده ربه ولله عاقبة الأمور، وقد بين عليه السلام ذلك بقوله: (فلرب أمر قد طلبته فيه هلاك دينك لو أوتيته).

ثم ختم الكلام سلام الله عليه بقوله: (فلتكن مسألتك فيما

يبقى لك جماله ويفنى عنك وباله، فالمال لا يبقى لك ولا تبقى له) حثاً منه عليه السلام على طلب الأمور التي يسعد بها الإنسان في آخرته ويدوم ثوابها ويتجدد في كل وقت نعيمها ومن أجل ذلك خلقنا ربنا وكلفنا.

سلام الله عليك يا سيد الوصيين وعلى ولدك الحسن خاصة وأولادك الأطهار عامة، وعلى بضعة رسول الله الطاهرة، اللهم بحق السائلين عليك وبحق سيد النبيين وخاتم المرسلين لديك اقبل توبتنا وأقل عثراتنا ورضنا بقضائك وصبرنا على بلائك وارزقنا شكر نعمائك واختم لنا ولوالدينا وأولادنا بالحسنى ووفقنا للتي هي أزكى يا أرحم الراحمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

[من كلامه عليه السلام في فضل القرآن الكريم]

ومن مواعظه وحكمه عليه السلام ما دلنا عليه وشرحه لنا في فضل القرآن الكريم قوله: (واعلموا أن هذا القرآن هو الناصح الذي لا يغش، والهادي الذي لا يضل، والمحدث الذي لا يكذب، وما جالس هذا القرآن أحد إلا قام عنه بزيادة أو نقصان، زيادة في هدى ونقصان من عمى، واعلموا أنه ليس على أحد بعد القرآن من فاقة، ولا لأحد قبل القرآن من غنى، فاستشفوه من أدوائكم، واستعينوا به على لأوائكم، فإن فيه شفاء من أكبر الداء وهو الكفر والنفاق والغي والضلال، فاسألوا الله به، وتوجهوا إليه بحبه، ولا تسألوا به خلقه، إنه ما توجه العباد إلى الله بمثله، واعلموا أنه شافع مشفع وقائل مصدق، وأنه من شفع له القرآن يوم القيامة شُفِّع فيه، ومن محل به القرآن يوم القيامة صدق عليه، فإنه ينادي منادٍ يوم القيامة: ألا إن كل حارث مبتلى في حرثه وعاقبة عمله غير حرثة القرآن، فكونوا من حرثته وأتباعه، واستدلوه على ربكم واستنصحوه على أنفسكم، واتهموا عليه آراءكم، واستغشوا فيه أهواءكم).

قوله عليه السلام: (هو الناصح الذي لا يغش) صدق سلام الله عليه فربما ناصح لغيره وقد غشه غيره وخدعه بمكره فنصح غيره بما قد خدع به، أما القرآن فإنه كلام الله المحفوظ فلا

يخدع ولا يغش فقلب المنتصح به آمن وكم اشتمل عليه من النصائح الشافية والأرباح الوافية، فالسعيد من جعله أميره ووزيره يلجأ إليه عند المبهمات ويأوي إليه عند الفتن المهلكات، ويقصده عند فاقته لينال أفضل وأحلى وأجمل الوجبات؛ لأنه سمي مأدبة الله في أرضه وروضة خاصته وربيع خلاصته.

قوله عليه السلام: (والهادي الذي لا يضل) تأمل في هذه الجمل التي يتلألأ جوهرها ويعم أرجاء المعمورة أنوارها، الهادي من يهدي غيره في المفاوز والقفار وفي عميقات البحار، ومهما كانت حنكته وطالت في هذا الشأن خبرته فإنه يوماً من الأيام يضل في نفسه ويضل غيره، أما القرآن عظّمه الله وشرّفه فإنه يهدي للتي هي أقوم فلا يضل تابعه وإن عمي بصره ما لم تعمى بصيرته فمن اقتفى أثره أوصله إلى غاية مطلوبه ومرغوبه، فلا يهتدي بالقرآن إلا من اطلع على معسكرات الفتن ومراكز الاختبار والمحن، ورأى كتائب أصحاب الشهوات قد عفرت خدودهم بين دمائهم والتراب(١)، فلما

---

(١) أما من يحمل جميع الفرق على السلامة ولا يفرق بين مشبه وغيره، ولا بين من ينزه الله من أفعال القبائح، ولا بين من ينسبها إليه فبينه وبين الهداية بالقرآن مراحل.

رأى ذلك ولى هارباً فناداه القرآن: هلم يا طالب النجاة، فأنا الهادي الذي لا يضل.

ثم قال عليه السلام وحكى بلسان حال القرآن ومقاله: (والمحدث الذي لا يكذب) لأن من أنزله هو القائل جل شأنه: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴿١٢٢﴾﴾ [النساء]، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴿٨٧﴾﴾ [النساء]، وقال تعالى: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت].

وقال عليه السلام: (وما جالس هذا القرآن أحد إلا قام عنه بزيادة أو نقصان، زيادة في هدى ونقصان من عمى) مجالسته قراءته وحفظه وقراءة تفاسيره عند من قرنوا به في حديث الثقلين لأنهم خزائنه وسدنته، فمن سلك هذه الطريق فإنه يخفف من على ظهره ثقل الأوزار ويرى ببصائره في ظلم الليالي بعدما كان أعمى في وضح النهار، أما من سلك غير طريق آل محمد فقد تقحم أودية الهلاك وإن قرأ القرآن وزعم أنه تابع لسيد ولد عدنان صلى الله عليه وآله وسلم، وما أحقه بقول الشاعر:

والمستجير بعمرو عند كربته ... كالمستجير من الرمضاء بالنار

وقال عليه السلام: (واعلموا أنه ليس على أحد بعد القرآن من فاقة ولا لأحد قبل القرآن من غنى) صدق سلام الله عليه

ورضوانه، ما أفقر وأجوع من اكتفى عن القرآن بغيره، وما أغنى وأشبع من جعله رائده، وإلى كل غنيمة انطوى عليها قائده، وما يعقلها إلا العالمون؛ لأن آيات القرآن جند من جنود الله تنصر من هرب إليها، وتكرم من تعرض لها طالباً لموائدها، تؤمن الخائف وتنصر المظلوم وتغيث الملهوف، وتنجي المكروب، تنادي الهاربين إلى الهلكة وتقول: هلموا إلى حصون النجاة فلا يجيبها إلا من أثقلته جراحته أو نأت به داره فريداً أو تكالبت عليه سباع البراري وحيداً، فلما رأوا كرمها وإحسانها وما بحضرتها من الخيرات نادوا الهاربين بأعلى أصواتهم: فيئوا إلى رشدكم واصحوا من منامكم فسخروا منهم غاية السخرية وقالوا: من أنتم حتى نجيبكم فتقحموا أودية الهلكات وتركوا كل الخيرات، فإنا لله وإنا إليه راجعون وبه من مصارع الخذلان والردى عائذون.

ثم نصح من بحضرته عليه السلام ومن أتى ويأتي من بعدهم بقوله: (فاستشفوه من أدوائكم، واستعينوا به على لأوائكم فإن فيه الشفاء من أكبر الداء وهو الكفر والنفاق والغي والضلال) صلوات الله عليك يا فاتح لهذه الأمة أبواب العلوم المغلقة بعد نبيها صلى الله عليه وآله وسلم ما أسعد من رضيت عنه ولقي الله في دار الجزاء بحبك.

انظر بالله عليك كيف أتى بعلاج هذه المعضلات التي

عجز عن علاجها كل أطباء البسيطة في كل زمان ومكان، أولها الكفر وبعده النفاق ثم الغي والضلال، فما بالك بما دونها من الأسقام، فقد شمل هذا القرآن العلاج الناجح لكل داء وضمن العافية الهنية من كل بلاء لمن تناول وصفاته من أيدي أطباء هذا الشأن، وهم المخصوصون بالصلاة عليهم بعد الصلوات يا رب من يقوم بشكرك على نعمتك علينا بأمان أهل الأرض والشفعاء والشهداء يوم العرض؟ ومن زعم أنه قد أوفى بما عليه من حق آل محمد فقد زكى نفسه، والله يقول: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ۝٣٢﴾ [النجم]، فوالله الذي لا إله إلا هو إن دون الوفاء بحق آل محمد خرط القتاد، غير أن رحمة الله قريب من المحسنين.

فالتوبة التوبة يا معشر المحبين وربنا القائل سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ والدعاء الدعاء في حسن الخاتمة فالأعمال بخواتمها، نسأل الله السداد وحسن الخاتمة.

ثم قال عليه السلام: (واستعينوا بالله على لأوائكم) اللأواء: هي الشدة والعناء من كل ما يكره الإنسان في هذه الدنيا، فالقرآن خير مستعان، فلا مشكلة تلم بالإنسان إلا وفي كتاب الله حلها يصبرك على المصائب ويخبرك بالجزاء ويسليك عن

النقائص بما يذكر لك من ضرها ووبالها.

ثم قال عليه السلام: (فاسألوا الله به، وتوجهوا إليه بحبه، ولا تسألوا به خلقه، إنه ما توجه العباد إلى الله بمثله) أراد عليه السلام أنه أعظم الوسائل التي يتقرب بها العباد إلى خالقهم وذلك بتلاوته والتفكر في آياته وتعظيم نواهيه وزواجره ومواعظه وقصصه وأخباره وفيه التوحيد لله والعدل وذكر من ذكر من أنبيائه عليهم السلام وعلى كل حال فتعظيمه تعظيم لله، وتصديق ما جاء فيه من الوعد والوعيد يشهد لمن هو كذلك برسوخ الإيمان وقد سماه الله نوراً وحكيماً وكريماً، وفيه شفاء من الله ورحمة وبركة ممن تفضل علينا به ونعمه، ويكفي في عظمه وتشريفه أنه نزل على سيد الأنبياء والمرسلين وأن الله عَظُمَت مِنَّتُه حَفِظَهُ إلى يوم الدين، فله الحمد عدد حروفه وعدد من تلاه، من يوم نزل إلى يوم الدين.

ثم زاد في وصفه وبيان فضله عليه السلام بقوله: (واعلموا أنه شافع ومشفع وقائل ومصدق، وأنه من شفع له القرآن يوم القيامة شُفِّع فيه، ومن محل به القرآن يوم القيامة صدق عليه) خبر من لسان أمير المؤمنين عليه صلوات رب العالمين أن للقرآن شفاعة لأولياء الله كشفاعة حبيبنا المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم للصالحين.

ومعنى (محل به) كاده بتبيين سيئاته يوم الدين، نسأل الله

بجوده وكرمه ومنته وإحسانه أن يجعل القرآن العظيم شاهداً لنا يوم القيامة لا شاهداً علينا إنه سميع مجيب آمين رب العالمين.

ثم استطرد عليه السلام في صفاته فقال: (ألا إن كل حارث مبتلى في حرثه وعاقبة عمله غير حرثة القرآن، فكونوا من حرثته وأتباعه) شبه أمير المؤمنين عليه السلام القرآن بالمال الخصيب الذي تكثر أثماره عند الحصاد لذلك حث عليه السلام على متابعة القرآن بقوله: (فكونوا من حرثته وأتباعه).

وقال عليه السلام: (واستدلوه على ربكم، واستنصحوه على أنفسكم، واتهموا عليه آراءكم، واستغِشُّوا فيه أهواءكم) نعم، القرآن دلنا وهو صادق أن الله أرحم الراحمين ودلنا أن الله لا يغير النعم إلا على من عصاه بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد:١١]، ودلنا القرآن أن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين وشرح لنا القرآن رحمة الله للتائبين وبين لنا القرآن رحمة الله وحكمته في التقتير على عباده ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ﴾ [الشورى:٢٧].

ثم قال عليه السلام: (واستنصحوه على أنفسكم) إذا نصحتك نفسك بخلاف القرآن فكذبها وصدق القرآن واتهمها وعظم القرآن.

ثم قال عليه السلام: (واستغشوا فيه أهواءكم) إذا كان هواك بخلاف القرآن فهواك غاش وليس ناصح.

اللهم انفعنا بالقرآن العظيم وفقهنا فيه يا رب العالمين بحق النبي والوصي والزهراء والحسنين آمين رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

[ومن كلام له عليه السلام في وصف القرآن]

ومن كلام له عليه السلام آخر في وصف القرآن: (وأن الله لم يعظ أحداً بمثل هذا القرآن فإنه حبل الله المتين، وسببه الأمين، وفيه ربيع القلب، وينابيع العلم، وما للقلب جلاء غيره، مع أنه قد ذهب المتذكرون وبقي الناسون):

في هذه الكلمات سلام الله على الناطق بها ما يفتح للمتأمل فيها وفي معانيها باباً من الشكر عظيماً.

نعم، خص الله سبحانه وتعالى هذه الأمة بنعمتين دون الأمم الماضية: إحداهما القرآن العظيم، والأخرى سيد النبيين والمرسلين، فلِلَّهِ المنة والحمد فيجب على المكلف أن يعلم أن الهبوط يكون بقدر الصعود فمن أخل بشكر الله على هاتين النعمتين فإن الله يلبسه الصغار وينزله شر دار ويحمل يوم القيامة العار والشنار فالسعيد من وافى القيامة وقد شهد له القرآن وشفع له سيد الأنام صلى الله عليه وآله وسلم؛ لأن المتمسك بالقرآن ينجو من مهاوي الضلال ويأمن بفضل الله من طرق الإضلال؛ لأنه تمسك بحبل الله المتين وسببه الأمين، كما قال أمير المؤمنين.

قوله عليه السلام: (وفيه ربيع القلب) سبحان الله العظيم ما أخفها على اللسان وأثقلها في الميزان، تشبه الشمس إذا طلعت فيقول الناظر ما أصغرها في السماء وما أكثر المخلوقين

الذين ينتفعون بضوئها وحرارتها، فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يفزع عند الشدائد إلى القرآن فتهون عليه كل المصائب، فعند تكالب الأعداء يذكر قول الله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ۝٥١﴾ [غافر]، وأمثالها، وعندما يبلى بمصيبة يفزع إلى آيات الصبر، وعلى كل حال ففي كتاب الله فرج من كل مكروه وغنى لكل فقير وعز لكل ذليل وأمان لكل خائف، القلوب بتلاوته وتدبر آياته تسعد، والواقع عند من فزع إلى كتاب الله عند الشدائد يشهد، وتماماً الأمر كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: (واعلموا أنه ليس على أحد بعد القرآن من فاقة، ولا لأحد بعد القرآن من غنى) فآيات القرآن عند خير البشرية صلى الله عليه وآله وسلم وعند الطاهرين من أهل بيته عليهم السلام والصالحين من أمته ربيع قلوبهم وعلى قدر معارفهم تكون تلك الحدائق.

قوله عليه السلام: (وفيه ينابيع العلم) صدق سلام الله عليه من وقت نزوله على نبينا صلى الله عليه وآله وسلم إلى زمننا وسيستمر إلى منقطع التكليف وهو كذلك، انظر كيف صوره بقوله عليه السلام: (وفيه ينابيع العلم) يغترف العلماء من بحاره، ويرتوون من أنهاره، ويقطفون ما طاب وحلى من أثماره، الأرض المزروعة لو كانت في غاية الخصوبة إذا طالت مدة زراعتها فإنها تضعف أشجارها وتقل محاصيلها وثمارها، أما القرآن شرفه الله فإنها

تزيد محاصيله في كل زمان فلا يأتي علماء محقون إلا وأضافوا محاصيلهم إلى محاصيل السابقين فقليل القرآن كثير، وصغيره كبير.

ثم قال عليه السلام: (وما للقلب جلاء غيره) نعم، القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلا شيء من المأكولات والمشروبات والأعمال والحركات يزيل صدأها وكذلك علاجات الأطباء من المخلوقين فلا يجليها إلا الذي خلقها بطبه وهو هذا القرآن الذي وصف عظمته ربنا الذي نزله قال تعالى: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْءَانَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الحشر]، والقائل فيه: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء:٨٢].

وآخر كلمة قالها في هذا الموضوع: (مع أنه قد ذهب المتذكرون وبقي الناسون) نعم، عندما يعظ قوماً في وقت من أوقات حياته سلام الله عليه ورضوانه ولا سيما إذا اتعظوا وذرفت عيونهم وخشعت قلوبهم فإنه في تلك الحالة يتذكر القهر في ماضي عمره، وأن القوم حالوا بينه وبين إصلاح الناس في تلك الفترات وينضاف إلى ذلك تألمه بموت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومفارقته شريكة حياته الطاهرة سيدة نساء العالمين وما لقيت وعانت من بعد موت سيد المرسلين، فيرى

صورة جميع ذلك حية وكأنه ينظر ويشاهد أم أبيها وهي ملقاة بين يديه وقد فارقت الحياة في عنفوان شبابها ويذكر ما تمثلت به من شدة القهر حين قالت:

صبت علي مصائب لـو أنهـا صـبت عـلى الأيـام صرن لياليـــــــــــــــــــا

فإنا لله وإنا إليه راجعون، أراد سلام الله عليه بالمتذكرون عمار وأبو ذر ومن على طريقتهما الذين عاشوا رضوان الله عليهم أوفياء وماتوا أتقياء لم يغيروا ولم يبدلوا، نصروا الحق وأهله، وخذلوا الباطل وحزبه، ولاقوا من العناء والقهر مثل ما لاقى أئمتهم الذين كانت تهز مشاعرهم آيات الكتاب يجيبون داعي الله إذا دعاهم يتسابقون إلى مقامات المتقين في جنات النعيم، ويبذلون رخيصهم والغالي في نصرة الحق وفي طلب مرضاة أرحم الراحمين، ولقد صور الحال أبو اليقضان الطيب المطيب عمار بن ياسر رضوان الله عليه حين تمثل بهذين البيتين:

يا ناعي الإسلام قـم فانعـه قد غاب عرف وبـدا منكـر
مـا لقـريش لا عـلى كعبهـا من قدموا اليوم ومن أخروا

نسأل الله السداد وحسن الخاتمة بحق النبي وآله وبحق القرآن العظيم آمين رب العالمين.

[من كلام أمير المؤمنين (ع) في وصف المتقين]

هذا الموضوع أخذت متنه من وصف أمير المؤمنين عليه السلام للمتقين ولهمام رضوان الله عليه، ومن تلك الكلمات التي أودت بحياة همام قوله عليه السلام: (نزلت أنفسهم منهم في البلاء كالتي نزلت في الرخاء، ولولا الأجل الذي كتب عليهم لم تستقر أرواحهم في أجسادهم طرفة عين، شوقاً إلى الثواب وخوفاً من العقاب، عظم الخالق في أنفسهم فصغر ما دونه في أعينهم):

نعم، روي أن صاحباً لأمير المؤمنين عليه السلام يقال له همام كان رجلاً عابداً فقال له: يا أمير المؤمنين صف لي المتقين حتى كأني أنظر إليهم، فتثاقل عليه السلام عن جوابه وقال: (يا همام اتق الله وأحسن إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) فلم يقتنع همام بهذا القول وألح على أمير المؤمنين في وصفهم، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ووصفهم بخطبة كاملة هي موجودة في نهج البلاغة فأخذت منها جملاً شرحتها بمعرفتي الكليلة ونضرتي القاصرة، ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله.

قوله عليه السلام: (نزلت أنفسهم منهم في البلاء كالتي نزلت في الرخاء) معنى ذلك أنهم إذا كانوا في بلاء كانوا بالأمل في الله كأنهم كانوا في رخاء لا يجزعون ولا يحزنون، وإذ اكانوا في

رخاء كانوا من خوف الله وحذر النقمة كأنهم في بلاء لا يبطرون ولا يتجبرون.

ثم قال عليه السلام: (لولا الأجل الذي كتب عليهم لم تستقر أرواحهم في أجسادهم طرفة عين شوقاً إلى الثواب وخوفاً من العقاب) نعم، لأن شوقهم إلى ثواب الله وما أعده لخلاصته في دار كرامته مثل شوق يعقوب النبي عليه السلام ليوسف، ومثل شوق أم موسى عليه السلام لموسى فنفوسهم معلقة بثواب الجنة في جميع أوقاتهم وقلوبهم عليلة من خوف عقاب خالقهم.

قوله عليه السلام: (وخوفاً من العقاب) فهم همام رحمه الله من تصوير أمير المؤمنين في هذه الجملة أنهم وضعوا بين الجنة والنار ينظرون إلى الجنة تارة وتارة ينظرون إلى النار فيحق لمن كان كذلك أن لا تستقر روحه في جسده ولكن الله جعل لكل أجل كتاب.

وقوله عليه السلام: (عظم الخالق في أنفسهم فصغر ما دونه في أعينهم) ومن هنا بدأت أنياط قلب همام تتقطع شيئاً فشيئاً، انظر بالله عليك في هذا التعبير الذي يحار فيه عقل كل بصير (عظم الخالق في أنفسهم) فلا وساع لشيء من شهوات الدنيا وملاذها قد شغلت نفوسهم عظمة الخالق بما بهر عقولهم من معرفته وعظيم سلطانه كأن أرواحهم معلقة بين السماء والأرض تصعد أحياناً وأحياناً تهبط، لا يكدر صفو عيشهم

مثل ذكر الدنيا وأطماعها لأنها صغرت في أنفسهم فذكرها يشغل قلوبهم كالذباب الكثيرة التي تحظر وجبات الأكلة فيتضايقون من وجودها.

ومن صفتهم قوله عليه السلام: (قلوبهم محزونة، وشرورهم مأمونة) الحزن قد خيم على قلوبهم يذكرون التفريط في كسب الغنائم من الطاعات في ماضي أيامهم ويذكرون قصر العمر وتباطؤ جوارحهم عن المسابقة في مرضاته فشغلهم ذلك عما الناس فيه من المشاكل والخصام وخدمة الدنيا وجمع الحطام فلا أحد من مجتمعاتهم إلا ويذكرهم بخير وإن حسدهم الحاسدون وأكل لحومهم الخاسرون.

ومن صفتهم قوله عليه السلام: (حاجاتهم خفيفة، وأنفسهم عفيفة) لا يتكلفون في تحصيل حاجاتهم، فما تيسر مع طاعة مولاهم وعافية أبدانهم كفاهم، وأنفسهم عفيفة هم أهل عفة ونزاهة أخذوها من قول مولاهم أمير المؤمنين عليه صلوات رب العالمين: (استغن عمن شئت تكن نظيره).

ومن صفتهم قوله عليه السلام: (أرادتهم الدنيا فلم يريدوها، وأسرتهم ففدوا أنفسهم منها) نعم، لا يتوجهون إليها ولو أقبلت عليهم ووصلت إلى أيديهم؛ لأنهم يعلمون بعاقبة أمرها وقلة بقائها، ورأوا عواقبها الوخيمة بأعينهم على من أخلد إليها وتوجه بكله إليها.

قوله عليه السلام: (وأسرتهم ففدوا أنفسهم منها) وذلك في أول أعمارهم كانت غرائزهم مليئة بالشهوات ونفوسهم طامعة في حصول المستلذات، فلما زكت عقولهم وتعلموا وعلموا بما أراد الله من خلقهم ففدوا أنفسهم منها بتركها لأهلها وعاهدوهم ألا رجعة منهم إليها فزكت نفوسهم وثبتت أصولهم ونمت فروعهم فهم أحرار الأحياء والخلاصة من الأوفياء.

ومن صفتهم قوله عليه السلام: (إذا زكي أحدهم خاف مما يقال له فيقول: أنا أعلم بنفسي من غيري وربي أعلم مني بنفسي) نعم، المدح في وجه أحدهم كمن يخاطب عاقلاً فقيراً فيقول له: أنت شاكر لأنعم الله على ما أنعم الله عليك من الذهب والفضة والعقار والدور والقصور، وهو في حال مدح المادح لا يملك عشاءه، كذلك من وصفهم أمير المؤمنين لهمام إذا مُدح أحدهم وزُكِّي ضاقت عليه نفسه وبدت له معائبه، ويحس ذلك الحين أنه شرير ويذكر يوم القيامة ودقة الحساب فلا يمنعه من الرد على مادحه بالكلام القاسي إلا الحياء لأنه عرف الله حق المعرفة ومن خلال معرفته بالله عرف نفسه وعرف قدرها، فلا تزحزحه مدائح المادحين عن عقيدته ودينه ولا ذم الذامين.

ومن صفتهم قوله عليه السلام: (فمن علامة أحدهم أنك ترى له

قوة في دين وحزماً في لين وإيماناً في يقين، وحرصاً في علم).

نعم، ترى المتقين أقوياء في دينهم وفي عقيدتهم وليسوا كالمتلونين في دينهم وفي عقائدهم لو تعرض الدنيا بحذافيرها على أحدهم ما باع دينه ولا تزحزح عن يقينه، كم حاول في ميلهم إخوان الشيطان وأعداء الرحمن في كل زمان بالمغريات وأحياناً بالتهديدات، فلا يرون إلا جبالاً راسيات؛ لأن الخالق عظم في أنفسهم فصغر ما دونه في أعينهم.

قوله عليه السلام: (وحزماً في لين) ترى إخوان التقوى يديرون أعمالهم الدينية كالقادة الحازمين من أهل الدنيا فلا يفرطون في صغير ولا كبير مما كلفهم به خالقهم ورازقهم، ومع ذلك هم أصحاب لين وليسوا من القاسية قلوبهم فشرهم مأمون وخيرهم مأمول.

قوله عليه السلام: (وإيماناً في يقين، وحرصاً في علم) تمر السنوات العديدة وهم على مباديهم ثابتون قد أخذوا عقائدهم من عين صافية فلو مال أهل الدنيا ما تغير أحدهم قيد أنملة.

قوله عليه السلام: (وحرصاً في علم) هم حريصون على قنص الفوائد من العلوم النافعة تشفي قلوبهم إذا سمعوها وتزيدهم هدى إلى هداهم فآتاهم ربهم تقواهم.

ومن صفتهم قوله عليه السلام: (وعلماً في حلم، وقصداً في غنى، وخشوعاً في عبادة، وتجملاً في فاقة، وصبراً في شدة، وطلباً في

حلال، ونشاطاً في هدى، وتحرجاً عن طمع) صدق سلام الله عليه (وعلماً في حلم) يعلمون بخطأ غيرهم فلا يقابلون جهلهم بالغلظة والقساوة بل يتلطفون للحمقاء باللين والرفق حتى يستميلوا أهواءهم أو يسلموا من شرهم.

قوله عليه السلام: (وقصداً في غنى) فلو كانوا أصحاب ثروات فليسوا من أهل البطر والأشر حتى إن الفقراء يسعدون بمخالطتهم لما هم عليه في ملبسهم وفي نفقاتهم.

قوله عليه السلام: (وخشوعاً في عبادة) يخشعون في صلواتهم وفي دعائهم ومناجاتهم؛ لأن قلوبهم خشعت قبل خشوع جوارحهم، ولأن الخوف قد سيطر على كل مشاعرهم.

قوله عليه السلام: (وتجملاً في فاقة) فلا يظهرون فقرهم وحاجتهم عند الأغنياء بل يعدون أنفسهم من الأثرياء بما يسر لهم ربهم وفتح لهم من أبواب الطاعة وكساهم من العافية فهم بذلك أغنياء ويرون غيرهم من أصحاب الدنيا فقراء.

قوله عليه السلام: (وصبرًا في شدة) عند الشدائد يراهم الرائي أصحاب صبر، صبر على البلاء، وصبر على الفقر والخوف، يؤمنون أنفسهم بما وعد الله الصابرين ويحتسبون أجر ما هم فيه ويتشوقون إلى ما وعد الله أولياءه المتقين.

قوله عليه السلام: (وطلباً في حلال) لا يتوانى أحدهم عن طلب

لقمة عيشه وما يحتاج إليه أولاده وأهله لأنهم يعتبرون التقصير في ذلك خللاً في دينهم، يجعلون لهم أسباباً لأرزاقهم من الزراعة والتجارة والمهن ومن عدم هذه الأشياء توجه إلى الأسباب التي دلنا عليها ربنا وأخبرنا بها نبينا صلى الله عليه وآله وسلم من الرواتب المذكورة وصلة الأرحام والأدعية المأثورة.

قوله عليه السلام: (ونشاطاً في هدى) ترى مساعيه كلها محمودة وترى عليه أثر الفرح في أفعال الطاعة من عبادة الله وفي خدمة الصالحين إذا نفع أحد إخوانه المؤمنين يسعد بتلك المنفعة كمن يسعد من أهل الدنيا بصفقات الأرباح الدنيوية.

قوله عليه السلام: (وتحرجاً عن طمع) هم يعلمون أن الطمع مهلكة وأنه مناف للتوكل على الله، وأن أصحاب الأطماع المتهورين ليس لهم ثقة بالله؛ لأن القلوب الجشعة إذا رأت الأطماع فلا تبالي بما نقص من دينها ولا تثبت على يقينها، فالمتقون يتحرجون عن كثير الطمع وقليله.

قوله عليه السلام: (يعمل الأعمال الصالحة وهو على وجل) وقد نعتهم الله بذلك في كتابه بقوله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا ءَاتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون:٦٠]، لأن المتقين لا يرون أماناً من الهلكة إلا إذا أمنهم ربهم الذي كلفهم وحذرهم وأنذرهم ولا طريق إلى ذلك الأمان حتى ينقضّ عليهم ملك الموت عليه السلام لسلِّ أرواحهم من أجسادهم وعندها تتنزل

عليهم الملائكة ﴿أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴿٣٠﴾﴾ [فصلت]، أما قبل ذلك فهم معرضون للهلكة والضلال، نسأل الله السداد وحسن الخاتمة والرشاد.

قوله عليه السلام في صفة الواحد منهم: (يمسي وهمه الشكر، ويصبح وهمه الذكر) إذا أمسى أحدهم عدد عليه نعم خالقه ومولاه، انظر بالله عليك في هذه الجملة سلام الله على الناطق بها، وتأمل الفرق بين العبارتين: (يمسي وهمه الشكر) نعم، مضى عليه يوم كامل وكم تمتع في يومه بنعم الله، أولها عند يقضته من منامه حين أصبح معافى في بدنه آمناً في شأنه أولاده في أمان وعافية وجميع أهله كذلك، وبعدها ما يسر الله له من طاعته حين أدى صلاة فجره في بيت من بيوت الله في جماعة والنائمون في ذلك الوقت لا يحصى عددهم ويذكر تناول لقمة فطوره وهو معافى سالماً من الأسقام وهارباً من جميع الآثام، وعندما خرج من بيته لقضاء حاجة أهله ذكر الله في طريقه ولما وصل إلى سوق من الأسواق حدث نفسه أن يذكر الله في محل الغفلة والناس بين بائع ومشترٍ وخادع ومغاوي وإذا وفق لشيء من الصدقات على محتاج فإنه بتلك الصدقة يسعد، وإذا بالفقير قد كافأه بما رأى عليه من الضعف والمسكنة فيحاكي نفسه كيف لو أنت في حياتك مثل هذا المسكين الذي يتعب بدنه في كل يوم وهو يبحث عن لقمة

عيش أهله المساكين فإذا عاد إلى أهله حمد الله حمداً كثيراً على سلامته وسلامتهم وتيسير رزقه وأرزاقهم، جاءت صلاة الظهر أداها في جماعة وبعدها العصر، فإذا غرب يومه سالماً من المعاصي والمصائب فإنه يعتبر ذلك اليوم عيداً، وبعد غروب شمس ذلك اليوم اتجه إلى بيت من بيوت الله كما يأوي الطير إلى وكره فصلى وعاد إلى بيته وأهله، وعلى هذه الطريقة جرت طريقة المتقين (يمسي أحدهم وهمه الشكر، ويصبح وهمه الذكر) لأنه يحس في يقظته بعد المنام أنه كان في غفلة ويتوجه بقلبه ولسانه إلى ذكر الله والتفكر بجنانه في ملكوت الله وعلى هذه جرت طريقة عباد الله المتقين.

ثم ذكرهم عليه السلام بأوصاف عديدة وأخلاق رشيدة ومنها: (قرة عينه فيما لا يزول وزهادته فيما لا يبقى) نعم، الله سبحانه أخبرنا بنعيم الآخرة أنه لا يزول فطمع المتقون فيما لا يزول يشغلون أنفسهم وجوارحهم في مرضاة الله وكل واحد منهم بذلك قرير عين يتنافسون ويتسابقون في أفعال الخير لا يكلون ولا يملون فلا تقر عيونهم بمثل إتعاب النفس في طاعة الله ومرضاته، أما الدنيا فمكانتها في قلوبهم مكانة من كان لهم صديقاً وانكشف كذاباً وخائناً وخادعاً فكرهوا مجالسته وتجنبوا محادثته؛ لأنهم عرفوا حقيقة الدنيا وعلموا بسرعة زوالها وخسارة من بذل جهده في عمرانها، ورأوا

عبيدها مذبوحين وبين الكناسات في نهاية أعمارهم منبوذين.

نعم، في وصف المتقين يستمر أمير المؤمنين عليه السلام ويقول في واحدهم: (تراه قريباً أمله، قليلاً زَلَـلُـهُ، خاشعاً قلبه، إن كان في الغافلين كتب في الذاكرين، وإن كان في الذاكرين لم يكتب من الغافلين) سلام الله عليك يا عيبة علم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وما أخبر الله على لسان نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن حبك إيمان وبغضك نفاق إلا لشأن.

قوله: (قريباً أمله) يحدث الواحد منهم نفسه بالموت في كل يوم وليلة، والدليل عندهم على ذلك ما يشاهدونه في أبناء جنسهم فلا تمر عليهم أيام معدودة إلا ويسمعون بميت أو أموات شباباً وشيبانا، وذكراناً وإناثاً، فهم لقدومه مستعدون، وبطلب ملك الموت لأرواحهم حاضرون.

ومن وصفه عليه السلام لهم قوله: (قليلاً زلـله) يتحرجون عن الخطايا ويتحملون جفوة الخلق، فهم كما وصفهم ربنا جلت عظمته: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴿٦٣﴾﴾ [الفرقان]، ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴿٧٢﴾﴾ [الفرقان].

وقوله في أحدهم: (خاشعاً قلبه) الخوف بلغ منهم منتهاه لأنهم يعلمون بدقة الحساب يوم القيامة وأنه لا نجاة من التبعات إلا بتقوى الله؛ لذلك قال عليه السلام في واحدهم: (إن كان في الغافلين كتب في الذاكرين) قلوبهم مليئة بذكر الله وعظمته

بين أهلهم وفي مساجدهم وفي أسواقهم وبين مجتمعاتهم وفي العرس والأعياد.

ثم قال عليه السلام: (وإن كان في الذاكرين لم يكتب من الغافلين) ومن صفاتهم قوله عليه السلام: (يعفو عمن ظلمه، ويعطي من حرمه، ويصل من قطعه) لأنهم في كل ذلك يحتسبون الأجر والثواب ويهربون بأنفسهم من أليم العذاب فاستطاعوا أن يسيطروا على أهوائهم ويتحملوا ما يقع من الأخطاء من أقاربهم وأبناء جنسهم؛ لأن الله منحهم الصبر وزادهم هدى إلى هداهم وآتاهم تقواهم.

قوله عليه السلام: (يعترف بالحق قبل أن يشهد عليه) وأين أصحاب هذه الصفة في مجتمعاتنا؟ ولقد والله خربت الأطماع قلوب الكثير إلا من عصم الله، نسأل الله السلامة بحق النبي وآله، اللهم اغفر لنا ولوالدينا وللمؤمنين والمؤمنات يا أرحم الراحمين.

[خطبته عليه السلام في وصف المتقين لهمام]

وقد ترجح لي أن أنقل الخطبة التي وصف بها أمير المؤمنين عليه السلام المتقين لهمام بكاملها فهي من أكمل المواعظ وإن كان العمل بما تضمنته لا يقوم به إلا أمير المؤمنين وزين العابدين وأمثالهما ولكن تبركاً بذكرها ورغبة في نشرها، والله من وراء القصد ولا حول ولا قوة إلا بالله، وهذا أولها:

(أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خَلَقَ الْخَلْقَ حِينَ خَلَقَهُمْ غَنِيّاً عَنْ طَاعَتِهِمْ آمِناً مِنْ مَعْصِيَتِهِمْ لِأَنَّهُ لَا تَضُرُّهُ مَعْصِيَةُ مَنْ عَصَاهُ وَلَا تَنْفَعُهُ طَاعَةُ مَنْ أَطَاعَهُ فَقَسَمَ بَيْنَهُمْ مَعَايِشَهُمْ وَوَضَعَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا مَوَاضِعَهُمْ فَالْمُتَّقُونَ فِيهَا هُمْ أَهْلُ الْفَضَائِلِ مَنْطِقُهُمُ الصَّوَابُ وَمَلْبَسُهُمُ الِاقْتِصَادُ وَمَشْيُهُمُ التَّوَاضُعُ غَضُّوا أَبْصَارَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَوَقَفُوا أَسْمَاعَهُمْ عَلَى الْعِلْمِ النَّافِعِ لَهُمْ نُزِّلَتْ أَنْفُسُهُمْ مِنْهُمْ فِي الْبَلَاءِ كَالَّتِي نُزِّلَتْ فِي الرَّخَاءِ وَلَوْ لَا الْأَجَلُ الَّذِي كُتِبَ عَلَيْهِمْ لَمْ تَسْتَقِرَّ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ طَرْفَةَ عَيْنٍ شَوْقاً إِلَى الثَّوَابِ وَخَوْفاً مِنَ الْعِقَابِ عَظُمَ الْخَالِقُ فِي أَنْفُسِهِمْ فَصَغُرَ مَا دُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ فَهُمْ وَالْجَنَّةُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا فَهُمْ فِيهَا مُنَعَّمُونَ وَهُمْ وَالنَّارُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا فَهُمْ فِيهَا مُعَذَّبُونَ قُلُوبُهُمْ مَحْزُونَةٌ وَشُرُورُهُمْ مَأْمُونَةٌ وَأَجْسَادُهُمْ نَحِيفَةٌ وَحَاجَاتُهُمْ خَفِيفَةٌ وَأَنْفُسُهُمْ عَفِيفَةٌ صَبَرُوا أَيَّاماً قَصِيرَةً أَعْقَبَتْهُمْ رَاحَةً طَوِيلَةً تِجَارَةٌ مُرْبِحَةٌ يَسَّرَهَا لَهُمْ رَبُّهُمْ أَرَادَتْهُمُ الدُّنْيَا فَلَمْ يُرِيدُوهَا وَأَسَرَتْهُمْ

فَفَدَوْا أَنْفُسَهُمْ مِنْهَا أَمَّا اللَّيْلَ فَصَافُّونَ أَقْدَامَهُمْ تَالِينَ لِأَجْزَاءِ الْقُرْآنِ يُرَتِّلُونَهُ تَرْتِيلًا يُحَزِّنُونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ، وَيَسْتَثِيرُونَ دَوَاءَ دَائِهِمْ فَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَشْوِيقٌ رَكَنُوا إِلَيْهَا طَمَعاً وَتَطَلَّعَتْ نُفُوسُهُمْ إِلَيْهَا شَوْقاً وَظَنُّوا أَنَّهَا نُصْبَ أَعْيُنِهِمْ وَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَخْوِيفٌ أَصْغَوْا إِلَيْهَا مَسَامِعَ قُلُوبِهِمْ وَظَنُّوا أَنَّ زَفِيرَ جَهَنَّمَ وَشَهِيقَهَا فِي أُصُولِ آذَانِهِمْ فَهُمْ حَانُونَ عَلَىٰ أَوْسَاطِهِمْ مُفْتَرِشُونَ لِجِبَاهِهِمْ وَأَكُفِّهِمْ وَرُكَبِهِمْ وَأَطْرَافِ أَقْدَامِهِمْ يَطْلُبُونَ إِلَىٰ اللَّهِ تَعَالَىٰ فِي فَكَاكِ رِقَابِهِمْ وَأَمَّا النَّهَارَ فَحُلَمَاءُ عُلَمَاءُ أَبْرَارٌ أَتْقِيَاءُ قَدْ بَرَاهُمُ الْخَوْفُ بَرْيَ الْقِدَاحِ يَنْظُرُ إِلَيْهِمُ النَّاظِرُ فَيَحْسَبُهُمْ مَرْضَىٰ وَمَا بِالْقَوْمِ مِنْ مَرَضٍ وَيَقُولُ قَدْ خُولِطُوا وَلَقَدْ خَالَطَهُمْ أَمْرٌ عَظِيمٌ لَا يَرْضَوْنَ مِنْ أَعْمَالِهِمُ الْقَلِيلَ وَلَا يَسْتَكْثِرُونَ الْكَثِيرَ فَهُمْ لِأَنْفُسِهِمْ مُتَّهِمُونَ وَمِنْ أَعْمَالِهِمْ مُشْفِقُونَ إِذَا زُكِّيَ أَحَدُهُمْ خَافَ مِمَّا يُقَالُ لَهُ، فَيَقُولُ: أَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْ غَيْرِي وَرَبِّي أَعْلَمُ بِي مِنِّي بِنَفْسِي اللَّهُمَّ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا يَقُولُونَ وَاجْعَلْنِي أَفْضَلَ مِمَّا يَظُنُّونَ وَاغْفِرْ لِي مَا لَا يَعْلَمُونَ فَمِنْ عَلَامَةِ أَحَدِهِمْ أَنَّكَ تَرَىٰ لَهُ قُوَّةً فِي دِينٍ وَحَزْماً فِي لِينٍ وَإِيمَاناً فِي يَقِينٍ وَحِرْصاً فِي عِلْمٍ وَعِلْماً فِي حِلْمٍ وَقَصْداً فِي غِنًىٰ وَخُشُوعاً فِي عِبَادَةٍ وَتَجَمُّلًا فِي فَاقَةٍ وَصَبْراً فِي شِدَّةٍ وَطَلَباً فِي حَلَالٍ وَنَشَاطاً فِي هُدًىٰ وَتَحَرُّجاً عَنْ طَمَعٍ يَعْمَلُ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ وَهُوَ عَلَىٰ وَجَلٍ يُمْسِي وَهَمُّهُ الشُّكْرُ وَيُصْبِحُ وَهَمُّهُ الذِّكْرُ يَبِيتُ حَذِراً وَيُصْبِحُ فَرِحاً حَذِراً لِمَا حُذِّرَ مِنَ الْغَفْلَةِ وَفَرِحاً بِمَا

أَصَابَ مِنَ الْفَضْلِ وَالرَّحْمَةِ إِنِ اسْتَصْعَبَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِيمَا تَكْرَهُ لَمْ يُعْطِهَا سُؤْلَهَا فِيمَا تُحِبُّ قُرَّةُ عَيْنِهِ فِيمَا لَا يَزُولُ وَزَهَادَتُهُ فِيمَا لَا يَبْقَى يَمْزُجُ الْحِلْمَ بِالْعِلْمِ وَالْقَوْلَ بِالْعَمَلِ تَرَاهُ قَرِيباً أَمَلُهُ قَلِيلًا زَلَلُهُ خَاشِعاً قَلْبُهُ قَانِعَةً نَفْسُهُ مَنْزُوراً أَكْلُهُ سَهْلًا أَمْرُهُ حَرِيزاً دِينُهُ مَيِّتَةً شَهْوَتُهُ مَكْظُوماً غَيْظُهُ الْخَيْرُ مِنْهُ مَأْمُولٌ وَالشَّرُّ مِنْهُ مَأْمُونٌ إِنْ كَانَ فِي الْغَافِلِينَ كُتِبَ فِي الذَّاكِرِينَ وَإِنْ كَانَ فِي الذَّاكِرِينَ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ يَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَهُ وَيُعْطِي مَنْ حَرَمَهُ وَيَصِلُ مَنْ قَطَعَهُ بَعِيداً فُحْشُهُ لَيِّناً قَوْلُهُ غَائِباً مُنْكَرُهُ حَاضِراً مَعْرُوفُهُ مُقْبِلًا خَيْرُهُ مُدْبِراً شَرُّهُ فِي الزَّلَازِلِ وَقُورٌ وَفِي الْمَكَارِهِ صَبُورٌ وَفِي الرَّخَاءِ شَكُورٌ لَا يَحِيفُ عَلَى مَنْ يُبْغِضُ وَلَا يَأْثَمُ فِيمَنْ يُحِبُّ يَعْتَرِفُ بِالْحَقِّ قَبْلَ أَنْ يُشْهَدَ عَلَيْهِ لَا يُضِيعُ مَا اسْتُحْفِظَ وَلَا يَنْسَى مَا ذُكِّرَ وَلَا يُنَابِزُ بِالْأَلْقَابِ وَلَا يُضَارُّ بِالْجَارِ وَلَا يَشْمَتُ بِالْمَصَائِبِ وَلَا يَدْخُلُ فِي الْبَاطِلِ وَلَا يَخْرُجُ مِنَ الْحَقِّ إِنْ صَمَتَ لَمْ يَغُمَّهُ صَمْتُهُ وَإِنْ ضَحِكَ لَمْ يَعْلُ صَوْتُهُ وَإِنْ بُغِيَ عَلَيْهِ صَبَرَ حَتَّى يَكُونَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي يَنْتَقِمُ لَهُ نَفْسُهُ مِنْهُ فِي عَنَاءٍ وَالنَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ أَتْعَبَ نَفْسَهُ لِآخِرَتِهِ وَأَرَاحَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ بُعْدُهُ عَمَّنْ تَبَاعَدَ عَنْهُ زُهْدٌ وَنَزَاهَةٌ وَدُنُوُّهُ مِمَّنْ دَنَا مِنْهُ لِينٌ وَرَحْمَةٌ لَيْسَ تَبَاعُدُهُ بِكِبْرٍ وَعَظَمَةٍ وَلَا دُنُوُّهُ بِمَكْرٍ وَخَدِيعَةٍ.

قَالَ: فَصَعِقَ هَمَّامٌ صَعْقَةً كَانَتْ نَفْسُهُ فِيهَا، فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَخَافُهَا عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: هَكَذَا تَصْنَعُ

الْمَوَاعِظُ الْبَالِغَةُ بِأَهْلِهَا، فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ: فَمَا بَالُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ عليه السلام: وَيْحَكَ إِنَّ لِكُلِّ أَجَلٍ وَقْتاً لَا يَعْدُوهُ وَسَبَباً لَا يَتَجَاوَزُهُ؛ فَمَهْلًا لَا تَعُدْ لِمِثْلِهَا فَإِنَّمَا نَفَثَ الشَّيْطَانُ عَلَى لِسَانِكَ.

[قوله عليه السلام رب مستقبل يوماً ليس بمستدبره..إلخ]

من حكم أمير المؤمنين البالغة قوله: (رب مستقبل يوماً ليس بمستدبره، ومغبوط في أول ليله قامت بواكيه في آخره):

سبحان الله العظيم الذي مكن أمير المؤمنين عليه السلام من صناعة الكلمات التي تنقاد لها قلوب الغافلين وتخشع لها رقاب التائهين، وتقف عند سماعها أنظار المستبصرين.

نعم، كم إنسان أصبح معافى في بدنه، آمن في سربه، قد أثقلته نعم الله، له آمال طويلة، يجوب بأفكاره في أطراف البلاد، ويحدث نفسه من أين أبدأ، فلما عاد طرفه كليلاً رجع بهواه إلى بيته يتلذذ بأولاده وزوجته وبما في يده، فلما طلعت شمس ذلك اليوم وهبَّ الناس في معائشهم أقبل إليه ضيف مكروه طارقاً لبابه حتى وقف وحال بينه وبين أحبابه، وعندها بهت وفترت أطرافه لما رأى ولم يدر هل هذا خيال أم حقيقة، وحينئذ انقطعت حبال الآمال واختلفت عليه كل الأحوال، وبرز له تفريطه في ماضي عمره، وتذكر ما كان قد جمعه من المال، ثم انتقل بفكره إلى من كان يؤثرهم على نفسه من الزوجة والأولاد وعاد على نفسه يخاطبها هل ينفعني ما جمعت؟ وهل تفديني الزوجة وأولادها، غير أنه لا يجد من الجواب إلا: كلا.

فشرع ملك الموت في تقطيع أوصاله حتى غلب الوجع

وعجز عن إسماع أهله صوت الألم ففارقت روحه جسده فاجتمع الناس حوله يفكرون في حقارة الدنيا وسرعة زوالها، فاتجه منهم فريق لحفر قبره وآخر لغسله وتكفينه، ولم تأت الظهيرة إلا وقد دفن في قبره، فصار ذلك اليوم الوحيد في أيامه؛ لأنه استقبله ولم يستدبره، رأى صباحه ولم ير مساءه؛ فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ثم لفت عليه السلام النظر إلى من يموت في ليله بقوله عليه السلام: (ومغبوط في أول ليله قامت بواكيه في آخره) لا إله إلا الله! يا لها من كلمة تحيي قلوب أموات الأحياء.

يأتي الليل على من كتبت لهم الوفاة في تلك الليلة من المترفين، الأموال بحوزتهم، والنساء الناعمات بائتات في منازلهم، وأولادهم كذلك، أسباب معائشهم متوفرة، وحياتهم كلها منتظمة، وإذا بالضيف الموعود به قد أتى فدخل بدون استئذان، فأول ما هرب من بيت ذلك المغبوط الأمان وحل محله الخوف، يتلفت بفكره يميناً وشمالاً هل من أعوان ينقذونه، أو قرابة يستفدونه؟! هيهات إن دون ذلك خرط القتاد، فلما أيس استسلم فأخذ ملك الموت عليه السلام في مهمته التي كلف بها وهي قبض روحه ونزعها من بين اللحم والعظام والدم والأعصاب، فصحت الأسرة من منامها لصياحه ونادوا جيرانه وأرسلوا إلى أقاربه، فلما تكاملوا

خرجت روحه من جسده، فغط البيت بالبكاء والعويل، والصياح والتهويل؛ فتحول من كان يغبط على ما هو فيه إلى مرحوم، ومن كان يحصل على ما أراد من الأسرة إلى محروم، فإنا لله وإنا إليه راجعون، ما أكثر العبر وأقل الاعتبار.

فقد وعظ بهاتين العبارتين سلام الله عليه ورضوانه كل من على وجه البسيطة، غير أن الأمر كما قال الشاعر:

لقد أسمعتَ لو ناديتَ حياً ولكن لا حياة لمن تنادي

فالعاقل اللبيب من يحذرها قبل أن تقع، فالغفلة لا تجتمع مع ذكر الموت، فمن أراد أن يجعل له زاجراً من نفسه ورادعاً من قلبه فلا ينس ذكر الموت، ومن أراد أن يبارك الله له في عمله ويطول أجله فلا يتغافل عن ذكر الموت؛ لأنه بذكر الموت يبادر إلى الأعمال الصالحة، يحسن صلاته، ويؤدي زكاته، ويبر والديه، ويصل أرحامه، وتتقاصر عنده الآمال، وبذكر الموت يذكر وحشة القبور وأفزاع يوم النشور ودقة الحساب، وقبل ذلك كله مفارقة الأحباب والأصحاب.

فيحق لمن أيقن بالموت والحساب أن تطول حسرته ويكثر تلهفه على ماضي عمره، وبعدها يشمر في كسب الغنائم من الطاعات والتخلص من الحقوق، وصلة من كان يقطعهم، فبقية العمر لا ثمن له، كما قال سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم.

نسأل الله الذي أزمّة القلوب بيده أن يرزقنا الاستعداد ليوم المعاد، ووالدينا وأولادنا وجميع المؤمنين والمؤمنات آمين رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

[قوله عليه السلام: الكلام في وثاقك ما لم تتكلم..إلخ]

ومن علاجه الشافي للقلوب سلام الله عليه قوله: (الكلام في وثاقك ما لم تتكلم، فإذا تكلمت صرت في وثاقه، فاخزن لسانك كما تخزن ذهبك وورقك، فرب كلمة سلبت نعمة وجلبت نقمة):

الوثاق رباط الشيء، فاللسان رباط الكلام وحبسه، ولا خير في إطلاقه إلا إذا كان لله طاعة كما قال ربنا سبحانه: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ..﴾ الآية [النساء:١١٤]، وكما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت)).

نعم، أمير المؤمنين عليه السلام صاحب هذه الحكمة هو القائل: (المرء مخبوء تحت لسانه)، وهو القائل عليه السلام: (المرء حر ما لم يَعِد) فيتوجب على العاقل أن يزن كلامه؛ لأن كلامه من عمله، وإذا كانت بعض الكلمات تذبح صاحبها وتودي بحياته وبعضها تخلده في قعر النار وبئس القرار فليتحفظ ولا ينطق بالكلمة إلا موزونة قد عرضها على قلبه واختبرها بلبه، فإن كانت طيبة أطلقها وإلا ترك النطق بها وأمسكها.

لذلك نبه عليه السلام على ذلك بقوله: (فاخزن لسانك كما تخزن ذهبك وورقك) الورق: هي الفضة، ثم بين سلام الله عليه

نتائج كثرة الكلام بقوله: (فرب كلمة سلبت نعمة، وجلبت نقمة).

نعم، إذا لم يتحفظ الإنسان من الزلل فإنه يوماً من الأيام يقع في مصيدة الهفوات التي أودت بحياة الكثير وأوردتهم إلى موارد الهلكات.

بعض الناس من أجل كلام الغير يكيد من خاطبه بكلمة سيئة ويحمل له العداوة فإذا أمكنته فرصة ضره ولو بعد حين.

نعم، يتداول الناس مثلاً سائراً: إذا كان الكلام من فضة كان السكوت من ذهب، وعلى العاقل أن يعود لسانه ذكر الله ويستمر على ذلك حتى يكون الذكر عادة من عاداته وخليقة من خلائقه.

نعم، الطباع التي قد تطبع الإنسان عليها تتعبه إذا أراد التخلق بخلافها فيجب عليه أن يجاهد نفسه ولو تعب، فمن عود نفسه المزاح فإنه يصعب عليه تركه، وكذلك من عود نفسه مماراة الآخرين، وخير بديل لهذه الصفات السكوت وأن يشغل نفسه بذكر الموت والحساب، وعلى كل عاقل أن يعلم بأن كلامه من عمله وأنه مسؤول عنه يوم القيامة ولو لم يكن إلا حديث معاذ ¤ عندما سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قائلاً: وهل نؤاخذ بما نتكلم به يا رسول الله؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس على مناخرهم في

جهنم إلا حصائد ألسنتهم) لذلك شدد أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: (فاخزن لسانك كما تخزن ذهبك وورقك).

[قوله عليه السلام: الركون إلى الدنيا مع ما تعاين منها جهل.. إلخ]

ومن حكمه عليه السلام: (الركون إلىٰ الدنيا مع ما تعاين منها جهل، والتقصير في حسن العمل إذا وثقت بالثواب عليه غبن، والطمأنينة إلىٰ كل أحد قبل الاختبار عجز):

أراد عليه السلام بالركون الميل إليها والتوجه لها حتىٰ تكون المقصد الأهم، فمن كان كذلك فقد ركن عليها، وقد جهل ما خلق له ومن أجله، فالله سبحانه وتعالىٰ يقول: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات]، ويقول عز وجل: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴿٢٦﴾﴾ [الرحمن]، ويقول سبحانه وتعالىٰ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴿١٨٥﴾﴾ [آل عمران]، وغير ذلك الكثير، أراد ربنا سبحانه وتعالىٰ أن ينبهنا ويوقظنا من رقدتنا، وقال سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴿٦٤﴾﴾ [العنكبوت].

وحكم سبحانه بالنعيم لمن توجه بقلبه إلىٰ الآخرة وعمل الأعمال الصالحة قال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴿١٩﴾﴾ [الإسراء].

وليعلم العاقل أن حب الدنيا من أعظم مصائد الشيطان

لذلك يقول الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴿١٨﴾﴾ [الإسراء]، وهل فتن الأولين والآخرين إلا حب الدنيا أعمت أبصارهم، ودنست أعراضهم، وقادتهم إلىٰ تحت أقدام السفلة الظالمين والحثالة المجرمين؛ طلباً لدنياهم ورغبة في نيل أوساخهم، يبيعون دينهم بثمن بخس، فالركون إلىٰ الدنيا ركون إلىٰ الشيطان الرجيم؛ لأن حبها هلكة كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((حب الدنيا رأس كل خطيئة)).

والحل الوحيد لحل حبالها من الرقاب هو ذكر الموت والإكثار منه، يقول المصطفىٰ صلى الله عليه وآله وسلم: ((من أكثر من ذكر الموت سلا عن الشهوات، ومن سلا عن الشهوات هانت عليه المصيبات، ومن هانت عليه المصيبات سارع إلىٰ الخيرات)).

اللهم انزع حب الدنيا من قلوبنا وأبدله بحب الآخرة يا أرحم الراحمين.

قوله عليه السلام: (والتقصير في حسن العمل إذا وثقت بالثواب عليه غبن) نعم، الكل يلهجون بالثواب علىٰ الأعمال الأخروية ومع ذلك ترىٰ الكثير مقصرين في حسن العمل.

نعم، حسن العمل في الصلاة مثلاً أن تحسن الوضوء وأن

تؤديها في جماعة وفي بيت من بيوت الله إذا لم يكن لك عذر، وأن تحضر ذهنك في صلاتك من أولها إلى آخرها، ومن حسن العمل في الصلاة أن تجعل لها في قلبك أهمية بالغة، وتماماً كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ۝٣٦ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ۝٣٧﴾ [النور].

وحسن العمل في الصيام أن تمسك لسانك وتكف غضبك، وحسن العمل في الزكاة أن تؤديها بعد الحصاد وتضعها في مصارفها وعند تمام الحول تخرجها وتكون فارحاً بها طيبة بها نفسك، وبقية الأعمال كذلك تلقي لها بالك وتحتسبها.

وقوله عليه السلام: (والطمأنينة إلى كل أحد قبل الاختبار عجز) صدق سلام الله عليه، يتبين الإنسان بالمعاملة وفي السفر، ترى الكثير يتصادقون سنين عديدة فإذا سافروا اختلفوا وانقطعت الصحبة، والبعض إذا تشاركوا لم يلبثوا إلا مدة قصيرة ووقع الخلاف بينهم وانقطعت الصحبة بينهم، وبعضهم تطلعه على سرك فيُسِرُّ به إلى الغير، وبعضهم يخدع أو يسرق؛ فلا ينبغي الاعتماد إلا على من عاملته أو صاحبته في

سفر ووثقت منه وإلا فاسمك عاجز كما قال أمير المؤمنين؛ لذلك يقول عليه السلام: (وجدت الناس اخْبُرْ تَقْلَه) معنى ذلك: رأيت الناس اختبره تكرهه، سلام الله عليك يا أمير المؤمنين ما أَثَمَّنَك للرجال، وما أعلمك بالأمور في كل الأحوال، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

[قوله عليه السلام: من هوان الدنيا على الله أنه لا يعصى إلا فيها..إلخ]

ومن مواعظه وحكمه عليه السلام قوله: (من هوان الدنيا على الله أنه لا يعصى إلا فيها ولا ينال ما عنده إلا بتركها):

تأمل بالله عليك في هذا الوصف والتعبير لقد شبهها بمستنقع الأوساخ؛ لأن المعاصي أوساخ معنوية والنجاسات أوساخ حسية وصورها عليه السلام بمحل الكناسات وهي أهل أن تشبه بذلك وقد ذمها يوماً بقوله عليه السلام: (جيفة افتضحوا بأكلها).

نعم، أراد عليه السلام أن يقلل من قدرها عند السامعين، وأن يحقرها في عيون الراغبين؛ لأنه عليه السلام رأى الناس مفتونين بحبها وعائمين بين أطماعها حتى عدا بعضهم على بعض من أجلها، وبسببها يتقاطعون الأرحام ويقترفون الآثام، لا يرعوي لناصح من عشقها، ولا يهتدي لواعظ من التاط قلبه بحبها، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ثم صورها بصور أقبح مما سبق حين قال عليه السلام: (ولا ينال ما عنده إلا بتركها) هذا الوصف يكفي في قبحها وذمها وحقارتها أن تكون حائلة بين الإنسان وبين جنات النعيم، فعلى العاقل اللبيب أن يخفف حدتها من قلبه بذكر الموت وحسرات الفوت، وليعلم طالب النجاة أن المائل إليها بجنانه ما عرف الله حق المعرفة ولولا حبها ما حسد الحاسدون ولا

طمع في المال الحرام الطامعون، ولو عقلنا عن الله ما وعظنا به في شأنها لقبحت في أعيننا، وتشوهت ملامحها في عقولنا، ولما كنا عند سماع أو قراءة بعض الآيات الذامة للدنيا كأننا نقول: سمعنا وعصينا، وقد نزل في أصحاب أحد وهم مع أفضل البشرية صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ [آل عمران:١٥٢]، ولقد سمعوا ووعوا قول الله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هود]، صدق الله العظيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

[قوله عليه السلام: ألا وإن من نعم الله سعة المال.. إلخ]

ومن تذكيره بنعم الله على العباد قوله عليه السلام: (ألا وإن من نعم الله سعة المال، وأفضل من سعة المال صحة البدن، وأفضل من صحة البدن تقوى القلب)، اللهم ألهمنا ذكرك وارزقنا شكرك يا أرحم الراحمين:

قوله عليه السلام في مقدمة هذه الحكمة: (ألا وإن من نعم الله) أراد سلام الله عليه أن يقبل السامع بقلبه وسمعه على ما يريد أن ينبه عليه في هذه الحكمة لأنه دلنا بها على نعمة عظيمة جسيمة وهي السعة في المال وأنه لا يليق بمن رزقه الله بالمال إلا أن يكون شاكراً لأنعم الله، ومن شكر الله على نعمة المال أن لا يستعملها في معاصيه، ولا يتطاول بها على أحد من عباده، وأن يرعاها بلسانه وقلبه، وأن يقدم لنفسه مع الضعفاء ما يقدم عليه حيث يجده، وحق هذه النعمة أن لا تكون له فتنة ينسى بها آخرته أو ما خلق من أجله، وقد أخبرنا في كتابه مسلياً للضعفاء والمساكين ومحذراً للأثرياء بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾﴾ [الشورى]، وبقول أمير المؤمنين عليه السلام: (من غني فيها فتن، ومن فقر فيها حزن).

نعم، الفقراء أكثر بكثير من الأغنياء غير أنهم أحسن حالاً

من أكثر الأغنياء بدليل قوله عليه السلام في هذه الحكمة: (وأفضل من سعة المال صحة البدن) فالمعافى لا إشكال أنه أحسن حالاً من المبتلى وأكثر الأثرياء أصحاب عاهات وبلاء غير أن الفقير بحاجة ماسة إلى الدين القويم كي تستقيم حياته ويرضى بما كتب له مولاه.

وتمام الحكمة قوله عليه السلام: (وأفضل من صحة البدن تقوى القلب) صدق سلام الله عليه ورضوانه، صاحب القلب التقي هو الفائز وإن بلغ منه الفقر والبلاء ما بلغا؛ لأن الله عليه راض ومن رضي الله عليه فلا تساوي نعمته أي نعمة.

اللهم ارزقنا من فضلك وعافنا في الدنيا وأصلح قلوبنا وتقبل أعمالنا وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين، آمين رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

[في ذكر عمرو بن العاص]

قال عليه السلام: (عجباً لابن النابغة يزعم لأهل الشام أن فيَّ دعابة، وأني امرؤ تلعابة، أعافس وأمارس، لقد قال باطلاً، ونطق آثماً، أما وشر القول الكذب إنه ليقول فيكذب ويعد فيخلف ويَسأل فيلحف، ويُسأل فيبخل ويخون العهد ويقطع الإل، فإذا كان عند الحرب فأي زاجر وآمر هو، ما لم تأخذ السيوف مآخذها فإذا كان ذلك كان أكبر مكيدته أن يمنح القوم سُبَّته، أما والله إني ليمنعني عن اللعب ذكر الموت، وإنه ليمنعه من قول الحق نسيان الآخرة، إنه لم يبايع معاوية حتى شرط أن يؤتيه أتيّة ويرضخ له على ترك الدين رضيخة):

قوله عليه السلام: (عجباً لابن النابغة يزعم لأهل الشام أن فيَّ دعابة وأني امرؤ تلعابة، أعافس وأمارس) النابغة المشهورة فيما لا يليق من النساء، كان عمرو بن العاص يحط من قدر أمير المؤمنين عند أهل الشام ويحدثهم أن أمير المؤمنين لا يصلح لقيادة الناس لأن القائد يجب أن يكون حازماً مهاباً، وعلي عليه السلام يمزح ويتلاعب مع الصغار والكبار والأخيار والأشرار، ومن هذا حاله فإنه في عيون الناس وضيع.

أراد عليه غضب الله أن يصغر الوصي عليه السلام في عيون جماعتهم بحيث إنهم لو سمعوا بفضل الوصي وكراماته وما حباه الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم لا يلقون لذلك بالاً، وهذه طريقة

أهل الدرك الأسفل من النار في كل زمان، يستعملون كلمات وأفعالاً يصغرون بها قدر البررة الأخيار حتى نالوا من الأنبياء.

انظر في قول المنافقين في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾ [التوبة:٦١]، وقول الكفار: ﴿وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ﴾ [هود:٢٧]، وقولهم: ﴿أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ﴾ [البقرة:١٣]، وما قد سمعناه في زمننا مما نالوا به أعراض الخلاصة من كبار آل رسول الله وأتباعهم.

قول أمير المؤمنين عليه السلام: (لقد قال باطلاً ونطق آثماً) وهذه طريقة ابن العاص المشؤوم النطق بكلمات تبلغ به دركات في جهنم ولقد ذم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أبيات شعرية فلعنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بكل بيت لعنة.

نعم، أمير المؤمنين عليه السلام ذمه وكذبه فيما قال لذلك أكد عليه السلام قوله: (أما وشر القول الكذب إنه ليقول فيكذب، ويعد فيخلف) وهما خصلتان من خصال المنافق، والعلامة الثالثة آتية بقوله عليه السلام: (ويخون العهد).

ثم قال عليه السلام: (ويسأل فيلحف، ويُسأل فيبخل) كان عدو الله يحرج من سأله فيقطعون لسانه بالعطاء لاتقاء شره، فإذا سأله سائل من أهل الحاجة عاد من عنده خائباً.

قوله عليه السلام: (ويخون العهد ويقطع الإل) لأنه ممن قال الله

فيه وأمثاله: ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [الفتح:١١]، وأمير المؤمنين أخبر منا بذلك، ولا ينبئك مثل خبير.

قوله: (ويقطع الإل) عنى بها القرابة والمراد أنه يقطع الرحم.

ثم رسم طريقته عند الحرب بقوله عليه السلام: (فإذا كان عند الحرب فأي زاجر وآمر هو) يحس من حوله أنه أشجع الحاضرين وذلك وقت الفهائن.

ثم ألبسه أمير المؤمنين قميص العار والصغار بقوله عليه السلام: (ما لم تأخذ السيوف مأخذها فإذا كان ذلك كان أكبر مكيدته أن يمنح القرم سبته) نعم، عندما أهوى عليه أمير المؤمنين بسيفه وأراد خطف روحه وسلب مهجته انكب على وجهه مبدياً لأمير المؤمنين عورته، فتكرم أمير المؤمنين عن قتله، وقد بلغ به الحال ما بلغ، وقد عيره بها معاوية في مجلسه فقال: احمد الله وسبتك يا عمرو!! فأجابه بقوله: إنَّه عليٌّ!! أتذكر يوم ناداك للبراز فاحولت عيناك وارتخى شدقك وخرج منك شيء أستحي أن أذكره!!.

وهذه طريقة المتناصرين على الباطل يكونون إخوان الظاهر وأعداء السرائر غير أن الحاجة لرغباتهم تجمعهم.

ثم أقسم أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: (أما والله إني ليمنعني

عن اللعب ذكر الموت، وإنه ليمنعه من قول الحق نسيان الآخرة) ثم ختم عليه السلام ذم عمرو بن العاص بقوله: (إنه لم يبايع معاوية حتى شرط أن يؤتيه أتية ويرضخ له على ترك الدين رضيخة) نعم، عندما هم معاوية بقتال أمير المؤمنين استدعى عمراً وكان بفلسطين وعمرو يعلم ما يريد فتردد في ذلك الأمر؛ لأنه قد سمع من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في فضل أمير المؤمنين ما يكفي قليله دليلاً على كفر من ناصبه وخالفه فضلاً عن مقاتلته وكان لعمرو عبد اسمه وردان، فعزم على الذهاب إلى معاوية فقال: شد يا وردان، فلما شد على الجمل تذكر ما سمع من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في علي فتراجع وقال: حط يا وردان، وكررها مراراً يذكر الملك والترؤس فيقول: شد يا وردان، وإذا ذكر ما يعلم به من فضل أمير المؤمنين وما قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: حط يا وردان، فخاطبه وردان قائلاً: يا عمرو ما لك والتردد؟ ولقد اعترض عليك أمران[1]: إن قلت علي فآخرة ولا دنيا معها وإن قلت معاوية

---

(١) ذُكِر هذا في كثير من التواريخ، ولفظه في تاريخ دمشق: فلما أصبح عمرو دعا غلامه وردان، فقال: ارحل يا وردان، حط يا وردان، مرتين أو ثلاثاً، فقال له وردان: خلطت يا أبا عبد الله، أما إنك إن شئت أنبأتك بما في نفسك، قال: هات، قال: اعترضت الدنيا والآخرة على قلبك، فقلت: علي معه الآخرة وفي الآخرة عوض من الدنيا، ومعاوية معه الدنيا بلا آخرة، وليس في الدنيا عوض =

فدنيا ولا آخرة معها، قال: صدقت وقال:

يا قاتـل الله وردانـاً وفطنتـه   لقد أبان ما في النفس وردان

ثم عزم بعدها أن يذهب إلى معاوية، فلما وصل عند معاوية ومعه ولداه عبدالله ومحمد فاختلى به معاوية واستعانه على قتال أمير المؤمنين فهدده عمرو وقال: إنه يأتيك بمائة ألف سيف من العراق فما تعطيني إن نصرتك وأنا من أنا؟ هذا معنى قوله، فأراد معاوية أن يغالطه بقوله: إن الناس يلومونك إذا قاتلت من أجل الدنيا، فرد عليه: العب على غيري!! فقال معاوية: إذاً مصر طعمة، وكانت هوايته في مصر ومعاوية يعلم بذلك، وقد كان سبق له ولاية عليها فخرج إلى ولديه فأخبرهما فقال ولده عبدالله: يا والدي اترك هذا الشأن إذا انتصر علي فإنه لا يظلمك وإذا انتصر معاوية فإنه لا يستغني عنك، وقال ولده محمد: إذا تم هذا الأمر وليس لك فيه يد فإنك تعيش محروماً مهاناً غير أن مصر لا تكفي، وما مصر في كامل الملك؟ فقال: لا أشبع الله بطونكما إن لم تشبعا بمصر!! وهذا معنى أقوالهم لا لفظه.

وعندها عزم على بيع الآخرة بالدنيا وشارك معاوية في

من الآخرة، فأنت متحير بينهما، فقال له عمرو: قاتلك الله يا وردان!! والله ما أخطأت.

جرائمه وبغيه وظلمه وقد رأى بداية الحقائق الأخروية وهو يتجرع سكرات الموت وحسرات الفوت وكان عند أقدامه أكياس الذهب والفضة فأقسم بالله إنه يود أنها بعر ولا أنه قاتل أبا تراب!! ﴿كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ١٦٧﴾ [البقرة]، وكان يتمنى أنه يخبره أحد المحتضرين عند الموت بحالته فلما وصل فيها سأله من كان يسمعه فقال: يا عمرو كيف حالتك الآن؟ فقال: كأن السماء انطبقت على الأرض وكأني بينهما أتنفس من ثقب إبرة.

وقد أخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأن أمير المؤمنين يقاتلهم وسمَّاهم بالقاسطين، ولا زالت آثار معاوية وعمرو إلى يومنا هذا وستستمر إلى يوم الدين؛ فحسبنا الله ونعم الوكيل، نعم المولى ونعم النصير.

اللهم بحق النبيين أسأل أن تميتنا على ولاية أوليائك ومعاداة أعدائك يا أرحم الراحمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

[في عجيب خلق أصناف من الحيوانات]

قال عليه السلام: (ولو فكروا في عظيم القدرة وجسيم النعمة لرجعوا إلى الطريق وخافوا عذاب الحريق ولكن القلوب عليلة، والبصائر مدخولة، ألا ينظرون إلى صغير ما خلق كيف أحكم خلقه وأتقن تركيبه وفلق له السمع والبصر وسوى له العظم والبشر):

تأمل أيها الناظر بعين بصيرتك في هذه الدلائل والبينات، قوله عليه السلام: (ولو فكروا في عظيم القدرة وجسيم النعمة لرجعوا إلى الطريق، وخافوا عذاب الحريق) نعم، من نظر بتأمل واستبصار في ملكوت الله من سماء وأرض وما فيهما وما بينهما فإنه يعود إلى رشده ويتراجع عن غيه؛ لأن في مخلوقات الله من الدلائل ما يردع عن التمادي في الغفلة والنسيان لذلك حكى ربنا عن عباده الصالحين بعدما نظروا فاعتبروا قولهم: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴿١٩١﴾﴾ [آل عمران].

نعم، في أصغر صغير من مخلوقات الله أبلغ معتبر وأعظم مستبصر، وقد أوضحه بقوله عليه السلام: (كيف أحكم خلقه وأتقن تركيبه، وفلق له السمع والبصر وسوى له العظم والبشر) لننظر مثلاً فيما قد شاهدناه ورأيناه مما يطير في سماء الله كيف أقدره أقدر القادرين على الطيران والتحكم في

جسمه إذا أراد أن يصعد أو يهبط أو يتجه يميناً أو يساراً وكيف يتصرف مع الرياح العاتية ولقد رأيت عجباً عندما عاينت حمامة عبرت من بين أسراب الجراد المنتشر وكيف تتصرف فلم تصل جرادة إلى جسمها، ولقد رأيت جسمها يتمايل أسرع من طرف العين أو يقاربه؛ فسبحان من خلق فسوى وقدر فهدى.

دع عنك إلهامها لمصالحها وما كساها به بارئها من جميل الألوان التي تروق لكل ناظر لا تبلى ولا تتغير إلى نهاية أعمارها ينطلق الطائر في أقصى طيرانه فإذا أحس بخطر في طريقه مال أسرع من حركة يد الإنسان يطير في السماء وهو ينظر يميناً ويساراً بما أعطاه الله من القدرة لتحريكه رأسه دون سائر جسده ولقد أوضح ربنا سبحانه وتعالى عن عظيم قدرته في كل حيوان يطير بقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾﴾ [الملك]، ومن عجيب قدرته تمكينه سبحانه وتعالى للصقور وغيرها من السرعة الفائقة عندما تشاهد فريستها فما هو الشيء الذي يُمَكِّنها من تلك السرعة؟ إنها قدرة أقدر القادرين سبحانه وتعالى.

وقوله عليه السلام: (لرجعوا إلى الطريق، وخافوا عذاب الحريق) لأن من نظر في صنع مخلوقاته علم بقدرة الله البالغة وعلمه

الذي يبهر الألباب وقال في نفسه هذا الرب لا يترك الإنسان هملاً، وإذا كانت قدرته محيطة بالصغير من مخلوقاته وعلمه كذلك فإنه لا يخفى عليه خافية من أمرنا كذلك.

من نظر في نعم الله علينا بما أعطانا ومكننا خلق لنا الأنعام نعمة منه علينا قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ۝٧١ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ۝٧٢ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ۝٧٣﴾ [يس].

انظر إلى بنية الإبل كيف قوسها وأطال رقابها وعلى الهبوط والصعود محملة أقدرها وما أودع فيها من الإلهام إذا أراد الإنسان أن ينيخها أو يستنهضها وانظر إلى بنية الحمير التي كان الإنسان في أمس الحاجة إليها قبل هذه المصنوعات كيف جعل أظهرها مستوية، ومن اللحم والعظم بناها، تحمل الأثقال، فلا تختل بنيتها، وإلى ما خلق لنا من المشتهيات في الأبقار من الحليب والسمن واللحم وجعلها عظمت منته أليفة يقودها الصغير والكبير، فكيف لا يعود الضال إلى رشده؟ والمتمادي في الباطل عن غيه؟ لو نظر بعين البصيرة وجانب هواه وشيطانه الذي أرداه.

ثم اختار عليه السلام من صغار الحيوان النملة كي يصفها ويعظ أصحاب العقول ببعض صفاتها ففيها من الحكمة الإلهية

والإتقان ما يعجز عن وصفه كل لبيب قال عليه السلام: (انْظُرُوا إِلَى النَّمْلَةِ فِي صِغَرِ جُثَّتِهَا وَلَطَافَةِ هَيْئَتِهَا لَا تَكَادُ تُنَالُ بِلَحْظِ الْبَصَرِ وَلَا بِمُسْتَدْرَكِ الْفِكَرِ كَيْفَ دَبَّتْ عَلَى أَرْضِهَا وصبت عَلَى رِزْقِهَا تَنْقُلُ الْحَبَّةَ إِلَى جُحْرِهَا وَتُعِدُّهَا فِي مُسْتَقَرِّهَا تَجْمَعُ فِي حَرِّهَا لِبَرْدِهَا وَفِي وِرْدِهَا لِصَدَرِهَا مَكْفُولٌ بِرِزْقِهَا مَرْزُوقَةٌ بِوِفْقِهَا لَا يُغْفِلُهَا الْمَنَّانُ وَلَا يَحْرِمُهَا الدَّيَّانُ وَلَوْ فِي الصَّفَا الْيَابِسِ وَالْحَجَرِ الْجَامِسِ وَلَوْ فَكَّرْتَ فِي مَجَارِي أَكْلِهَا فِي عُلْوِهَا وَسُفْلِهَا وَمَا فِي الْجَوْفِ مِنْ شَرَاسِيفِ بَطْنِهَا وَمَا فِي الرَّأْسِ مِنْ عَيْنِهَا وَأُذُنِهَا لَقَضَيْتَ مِنْ خَلْقِهَا عَجَباً وَلَقِيتَ مِنْ وَصْفِهَا تَعَباً فَتَعَالَى الَّذِي أَقَامَهَا عَلَى قَوَائِمِهَا وَبَنَاهَا عَلَى دَعَائِمِهَا لَمْ يَشْرَكْهُ فِي فِطْرَتِهَا فَاطِرٌ وَ لَمْ يُعِنْهُ عَلَى خَلْقِهَا قَادِرٌ وَلَوْ ضَرَبْتَ فِي مَذَاهِبِ فِكْرِكَ لِتَبْلُغَ غايته مَا دَلَّتْكَ الدَّلَالَةُ إِلَّا عَلَى أَنَّ فَاطِرَ النَّمْلَةِ هُوَ فَاطِرُ النَّخْلَةِ لِدَقِيقِ تَفْصِيلِ كُلِّ شَيْءٍ وَغَامِضِ اخْتِلَافِ كُلِّ حَيٍّ وَمَا الْجَلِيلُ وَاللَّطِيفُ وَالثَّقِيلُ وَالْخَفِيفُ وَالْقَوِيُّ وَالضَّعِيفُ فِي خَلْقِهِ إِلَّا سَوَاءٌ.

وَكَذَلِكَ السَّمَاءُ وَالْهَوَاءُ وَالرِّيَاحُ وَالْمَاءُ وَاخْتِلَافِ هَذَا اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَتَفَجُّرِ هَذِهِ الْبِحَارِ وَكَثْرَةِ هَذِهِ الْجِبَالِ وَطُولِ هَذِهِ الْقِلَالِ وَتَفَرُّقِ هَذِهِ اللُّغَاتِ وَالْأَلْسُنِ الْمُخْتَلِفَاتِ فَالْوَيْلُ لِمَنْ جَحَدَ الْمُقَدِّرَ، وَأَنْكَرَ الْمُدَبِّرَ، زَعَمُوا أَنَّهُمْ كَالنَّبَاتِ مَا لَهُمْ زَارِعٌ وَلَا لِاخْتِلَافِ صُوَرِهِمْ صَانِعٌ وَلَمْ يَلْجَئُوا إِلَى حُجَّةٍ

فِيمَا ادَّعَوْا وَلَا تَحْقِيقٍ لِمَا أُوْعُوْا وَهَلْ يَكُونُ بِنَاءٌ بِغَيْرِ بَانٍ أَوْ جِنَايَةٌ مِنْ غَيْرِ جَانٍ).

ثم لفت النظر إلى قدرة الله وإتقانه في خلق الجراد قال عليه السلام: (وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ فِي الْجَرَادَةِ إِذْ خَلَقَ لَهَا عَيْنَيْنِ حَمْرَاوَيْنِ وَأَسْرَجَ لَهَا حَدَقَتَيْنِ قَمْرَاوَيْنِ وَجَعَلَ لَهَا السَّمْعَ الْخَفِيَّ وَفَتَحَ لَهَا الْفَمَ السَّوِيَّ وَجَعَلَ لَهَا الْحِسَّ الْقَوِيَّ وَنَابَيْنِ تَقْرِضُ وَمِنْجَلَيْنِ بِهِمَا تَقْبِضُ يَرْهَبُهَا الزُّرَّاعُ فِي زَرْعِهِمْ حَتَّى تَرِدَ الْحَرْثَ فِي نَزَوَاتِهَا وَتَقْضِيَ مِنْهُ شَهَوَاتِهَا وَخَلْقُهَا كُلُّهُ لَا يُكَوِنُ إِصْبَعاً مُسْتَدِقَّةً فَتَبَارَكَ اللَّهُ الَّذِي يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَيَعْنُوْ لَهُ خَدّاً وَوَجْهاً وَيُلْقِي إِلَيْهِ بِالطَّاعَةِ سِلْماً وَضَعْفاً وَيُعْطِي لَهُ الْقِيَادَ رَهْبَةً وَخَوْفاً فَالطَّيْرُ مُسَخَّرَةٌ لِأَمْرِهِ أَحْصَى عَدَدَ الرِّيشِ مِنْهَا وَالنَّفَسِ وَأَرْسَى قَوَائِمَهَا عَلَى النَّدَيِّ وَالْيَبَسِ وَقَدَّرَ أَقْوَاتَهَا وَأَحْصَى أَجْنَاسَهَا فَهَذَا غُرَابٌ وَهَذَا عُقَابٌ وَهَذَا حَمَامٌ وَهَذَا نَعَامٌ دَعَا كُلَّ طَائِرٍ بِاسْمِهِ وَكَفَلَ لَهُ بِرِزْقِهِ وَأَنْشَأَ السَّحَابَ الثِّقَالَ فَأَهْطَلَ دِيَمَهَا وَعَدَّدَ قِسَمَهَا فَبَلَّ الْأَرْضَ بَعْدَ جُفُوفِهَا وَأَخْرَجَ نَبْتَهَا بَعْدَ جُدُوبِهَا).

سبحان مانح الكرامات والمعجزات المطلع من يشاء على أصناف العلوم الغامضات، ولأمر ما قال المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم: ((أنا مدينة العلم وعلي بابها)) وصدق الله العظيم القائل:

﴿قَالَ الَّذِى عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا ءَاتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِى ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [النمل]، وجه الاستدلال بالآية أن الذي عنده علم من الكتاب أتى بالمستحيل في أقل من طرفة عين لأن الله سبحانه وتعالى علمه ما لم يطلع عليه غيره من العلوم والأسرار المكنونة، كذلك أمير المؤمنين يأتي بالمستحيل على غيره من الناس بديهة فلا يصف شيئاً من مخلوقات الله إلا أتى بوصفه كاملاً فإذا وعظ غيره بهر بموعظته عقول السامعين فبين كلامه وكلام الصحابة والبلغاء في كل زمان بعد المشرقين يصنع الحكم فيتجدد ذوقها، ويصلح الوعظ والاستدلال بها في كل زمان إلى يوم القيامة وكلما ردد القارئ خطبة من خطبه عليه السلام حصل على فوائد جديدة وحكم عديدة.

فلو لم يكن من الدلائل على مكانته وشرفه وعلو منزلته إلا ما منحه الله من البلاغة والفصاحة لكفى، يصف الشيء وكأنه شاهد الصانع وهو يصنعه يبدي لك تقريراً وافياً عن إتقان حكمة صانعه.

تذاكروا يوماً عنده أن الألف أكثر دخولاً في الكلام فخطب عليه السلام خطبة كاملة بدون ألف، ويوماً تذاكروا كذلك

أن أكثر الكلمات في المحاورات تكون منقوطة فخطب خطبة كاملة بدون حروف منقطة، فصدق ثم صدق من قال: إن كلامه عليه السلام دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق لذلك وما منحه الله به يقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عندما دق الباب دقاً خفيفاً وعرف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دقه فقال: ((يا أم سلمة قومي فافتحي له الباب فإن بالباب رجلاً ليس بالخرق ولا بالنزق ولا بالعجل في أمره، يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله)) فقامت ففتحت فدخل علي عليه السلام، فقال: ((يا أم سلمة هو علي بن أبي طالب، لحمه من لحمي ودمه من دمي، وهو مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي، يا أم سلمة اسمعي واشهدي، علي أمير المؤمنين وسيد المسلمين وعيبة علمي، وباب الدين والوصي على الأموات من أهل بيتي والخليفة في الأحياء من أمتي، أخي في الدنيا وقريني في الآخرة، ومعي في السنام الأعلى، اشهدي يا أم سلمة، أنه قاتل الناكثين والقاسطين والمارقين)) انتهى من لوامع الأنوار للحجة المجدد للدين إمامنا ومولانا مجدالدين بن محمد بن منصور عليه سلام الله ورضوانه آمين رب العالمين.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام: ((لا يتقدمك بعدي إلا كافر، ولا يتخلفك بعدي إلا كافر، وإن أهل السموات يسمونك أمير المؤمنين)) انتهى من اللوامع.

وعن جابر أنه قال: ((علي خير البشر لا يشك فيه إلا كافر)).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((علي باب حطة من دخل منه كان مؤمناً ومن خرج منه كان كافراً)) انتهى من لوامع الأنوار.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((ترد علي الحوض راية علي أمير المؤمنين وإمام الغر المحجلين فأقوم فآخذ بيده فيبيض وجهه ووجوه أصحابه فأقول: ما خلفتموني في الثقلين فيقولون: تبعنا الأكبر وصدقناه ووازرنا الأصغر وتبعناه، فأقول: رِدُوا ردوا مرتين، فيشربون شربة لا يظمأون بعدها، وجه إمامهم كالشمس الطالعة ووجوههم كالقمر ليلة البدر أو كأضوأ نجم في السماء)) انتهى من اللوامع.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيما أخرجه الإمام أبو طالب عن الإمام الأعظم زيد بن علي بن الحسين بن علي ¢ قال: (كان لي عشر من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما أحب أن لي بإحداهن ما طلعت عليه الشمس قال لي: ((يا علي أنت أخي في الدنيا والآخرة وأقرب الخلق مني في الموقف يوم القيامة، منزلي يواجه منزلك في الجنة كما يتواجه منزل الأخوين في الله، وأنت الولي والوزير والوصي والخليفة في الأهل والمال وفي المسلمين في كل غيبة، وأنت صاحب لوائي في الدنيا والآخرة، وليك وليي ووليي ولي الله، وعدوك عدوي

وعدوي عدو الله)) انتهى من لوامع الأنوار.

وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ((يا علي أنا سيد المرسلين وأنت يعسوب المؤمنين وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين)). اللوامع.

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ((ألا أدلكم على ما إن تساءلتم عليه لم تهلكوا: إن وليكم الله وإن إمامكم علي بن أبي طالب فناصحوه وصدقوه فإن جبريل أخبرني بذلك)) انتهى من اللوامع.

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ((ادعوا لي سيد العرب علياً)) فقالت عائشة: ألست سيد العرب؟ قال: ((أنا سيد ولد آدم وعلي سيد العرب)) فلما جاء أرسل إلى الأنصار فأتوه فقال لهم: يا معشر الأنصار ألا أدلكم على ما إن تمسكتم به لن تضلوا أبداً؟)) قالوا: بلى يا رسول الله، قال: ((هذا علي فأحبوه وأكرموه بكرامتي، فإن جبريل أمرني بالذي قلت لكم عن الله عز وجل)).

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ((إن الله عهد إلي في علي عهداً فقلت: يا رب بينه لي، قال: اسمع، إن علياً راية الهدى وإمام أوليائي ونور من أطاعني، فبشره بذلك فقلت: قد بشرته يا رب، فقال: أنا عبدالله وفي قبضته فإن يعذبني فبذنوبي لم يظلم شيئاً، وإن يتم لي ما وعدني فهو أولى، وقد دعوت له فقلت: اللهم

اجْلِ قلبه، واجعل ربيعه الإيمان بك، قال: قد فعلت غير أني مختصه بشيء من البلاء لم أختص به أحداً من أوليائي، فقلت: يا رب أخي وصاحبي، قال: إنه سبق في علمي أنه مبتلى ومبتلى به)). انتهى نقلاً من لوامع الأنوار لمولانا مجدالدين بن محمد بن منصور المؤيدي.

وروى المنصور بالله عليه السلام في الشافي أن عماراً ¤ خرج في بعض أيام صفين والقراء محدقون به حتى دنا من مقام علي في الصف فقال: ألا أحدثكم بحديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في هذا الواقف –يعني علياً عليه السلام-؟ قلنا: هات يا أبا اليقظان، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ((يا علي إن الله زينك بزينة لم يزين أهل الدنيا بزينة هي أحب إلى الله منها وهي زينة الأبرار عند الله الزهد في الدنيا فجعلك لا تميل إليها، ووهب لك مع ذلك حب المساكين فجعلهم يرضون بك إماماً وترضى بهم أتباعاً، فطوبى لمن صدق عليك، وويل لمن كذب عليك، فإني أقسم بالله ليوقفنهم الله مواقف الكذابين)) ثم قال عمار ¤: قاتلوا هذه الراية –يعني: راية معاوية- فوالله لقد قاتلتها مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلاث عشرة مرة بهذه المرة والله ما هي في هذه المرة أبرؤها من الشرك، ثم نظر إلى راية علي عليه السلام ثم قال: قاتلوا مع هذه الراية فوالله لقد قاتلت معها اثنتي عشرة مرة والله ما هي في هذه المرة بأقلهن

براً. انتهى من لوامع الأنوار لشيخ الإسلام وإمام أهل البيت الكرام.

وقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لأبي بن كعب: ((عليك بعلي فإنه الهادي المهتدي الناصح الأمين، المخبر بسنتي وهو إمامكم بعدي، فمن رضي بذلك لقيني على ما فارقته عليه، ومن غير وبدل لقيني ناكثاً بيعتي عاصياً لأمري جاحداً لنبوتي، لا أشفع له عند ربي ولا أسقيه من حوضي)) انتهى من لوامع الأنوار.

وروى الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ أن نبي الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال: ((إن عن يمين العرش رجالاً وجوههم من نور عليهم ثياب من نور ما هم بنبيين ولا شهداء يغبطهم النبيون والشهداء، قيل: من هم؟ قال: أولئك أشياعنا وأنت إمامهم يا علي)) انتهى من لوامع الأنوار.

وعندما أقبل فاتك العرب أسد بن غويلم يوم الصوح يرتجز، ثم سأل البراز فأحجم الناس قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ((من خرج إلى هذا المشرك فقتله فله على الله عز وجل الجنة وله الإمامة بعدي)) فلما قام علي بن أبي طالب قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ((نحن بنو هاشم جود مجد لا نجبن ولا نغدر وأنا وعلي من شجرة لا تختلف ورقها، اخرج إليه ولك الإمامة بعدي))، فخرج علي بن أبي طالب نحوه وأتبعه الناس

أبصارهم فضربه ضربة قسمته نصفين ووصل السيف إلى السرج وهز علي سيفه وحمل على المشركين فانهزموا وآب راجعاً وهو يقول:

ضربته بالسيف وسط الهامه   إلى قوله:

أنا علي صاحب الصمصامه   وصاحب الحوض لدى القيامه
أخو نبي الله ذي العلامه   قد قال إذ عممني العمامه
أنت أخي ومعدن الكرامه   ومن له من بعدي الإمامه

انتهى نقلاً من لوامع الأنوار.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((من أحب أن يركب سفينة النجاة ويتمسك بالعروة الوثقى ويعتصم بحبل الله المتين فليأتم علياً وليأتم الهداة من ولده)). (اللوامع).

وقال سلمان الفارسي ¤: أشهد أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ((علي إمام المتقين وقائد الغر المحجلين والأمير من بعدي)).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((قال لي ربي ليلة أسري بي: من خلفت على أمتك يا محمد؟ قال: قلت: أنت أعلم يا رب، قال: يا محمد إني انتجبتك برسالتي واصطفيتك لنفسي فأنت نبيي وخيرتي من خلقي ثم الصديق الأكبر الطاهر المطهر الذي خلقته من طينتك وجعلته وزيرك وأبا سبطيك السيدين الشهيدين

الطاهرين المطهرين سيدي شباب أهل الجنة، وزوجته خير نساء العالمين، أنت شجرة وعلي أغصانها وفاطمة ورقها والحسن والحسين ثمارها، خلقتكم من طينة عليين وخلقت شيعتكم منكم، إنهم لو ضربوا على أعناقهم بالسيوف لم يزدادوا لكم إلا حباً، فقلت: يا رب من الصديق الأكبر؟ قال: أخوك علي بن أبي طالب)) انتهى من اللوامع.

وقد أشار إلى فضلهم عليه السلام بقوله: (أَ لَا تَرَى غَيْرَ مُخْبِرٍ لَكَ وَلَكِنْ بِنِعْمَةِ اللَّهِ أُحَدِّثُ أَنَّ قَوْماً اسْتُشْهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَلِكُلٍّ فَضْلٌ حَتَّى إِذَا اسْتُشْهِدَ شَهِيدُنَا قِيلَ سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ وَخَصَّهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم بِسَبْعِينَ تَكْبِيرَةً عِنْدَ صَلَاتِهِ عَلَيْهِ أَ وَلَا تَرَى أَنَّ قَوْماً قُطِّعَتْ أَيْدِيهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِكُلٍّ فَضْلٌ حَتَّى إِذَا فُعِلَ بِوَاحِدِنَا مَا فُعِلَ بِوَاحِدِهِمْ قِيلَ الطَّيَّارُ فِي الْجَنَّةِ وَذُو الْجَنَاحَيْنِ وَلَوْ لَا مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ مِنْ تَزْكِيَةِ الْمَرْءِ نَفْسَهُ لَذَكَرَ ذَاكِرٌ فَضَائِلَ جَمَّةً تَعْرِفُهَا قُلُوبُ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا تَمُجُّهَا آذَانُ السَّامِعِينَ)، ثم قال عليه السلام: (فَإِنَّا صَنَائِعُ رَبِّنَا وَالنَّاسُ بَعْدُ صَنَائِعُ لَنَا).

وصدق صلوات الله عليه، النبوة درجة لا أحد يصل إليها ولكل منهم مكانته حتى أرسل محمد صلى الله عليه وآله وسلم فسمي سيد المرسلين ولكل نبي وصي، وله مكانته حتى وصلت عند أمير المؤمنين، فسمي عليه السلام سيد الأوصياء، وللأنبياء بنات

طاهرات وبعضهن ذكرهن الله في كتابه من صاحبات العقل الكبير حتى جاءت الزهراء البتول فسميت سيدة نساء العالمين، كذلك أولاد الأنبياء أصحاب فضل وكرامة عند الله حتى وجد الحسن والحسين، فقيل سيدا شباب أهل الجنة أجمعين صلوات الله على نبينا وعلى أهل بيته الطاهرين آمين رب العالمين.

قال مولانا مجدالدين بن محمد بن منصور المؤيدي سلام الله عليه ورضوانه بعدما أتى بالكثير الطيب من فضائل أمير المؤمنين وما قال فيه سيد المرسلين: «واعلم أنا ندين الله تعالى بما دانت به جماعة العترة الأحمدية والصفوة العلوية ومن اهتدى بهداهم من علماء الأمة المحمدية أن إمام المتقين وسيد الوصيين وأخا سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين الإمام وخليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على الخاص والعام وحجة الله بعد نبيه على جميع الأنام، وأنه منزل منه منزلته إلا النبوة كما نطق به صلى الله عليه وآله وسلم عن الله في جميع الأحكام فقوله ـ حجة، ومنهجه في كل شيء أعظم محجة. انتهى.

وأنا أدين الله بما دان به مولانا ومن ذكرهم في هذا الكلام وأشهد الله على ذلك وهو خير الشاهدين والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

وكان الفراغ من الكتابة لهذه الجمل وشرحها في ١٠ من

شهر رجب المبارك سنة ١٤٤٣هـ.

[من كلام له عليه السلام في الصدقة وأعمال العباد]

ومن حكم أمير المؤمنين عليه السلام: (الصدقة دواء منجح، وأعمال العباد نصب أعينهم في آجلهم):

تقدم شرح لحثه على الصدقات في وصيته لولده الحسن بن علي عليهما السلام غير أنه نبه سلام الله عليه هنا على فوائد الصدقة في الدنيا.

قوله عليه السلام: (دواء منجح) يفيد أن الصدقة من أفضل الوسائل وأعظمها قربة عند الملك الديان ولا سيما في طلب العافية التي هي أغلى شيء في هذه الدنيا ولا تباع بالأثمان، فليعود الإنسان نفسه ويحث أهله على الصدقات طلباً للعافية أو لبقائها وكذلك بقية الأمور من جلب نفع أو دفع ضرر، فخير وسيلة الصدقة على الضعفاء والمساكين، وفي الحديث: ((داووا مرضاكم بالصدقة))، وعن علي عليه السلام: (إذا أملقتم فتاجروا الله بالصدقة) وخير الصدقات الصدقة على الرحم ولا سيما الرحم الكاشح ففي الحديث ليس الواصل بالمواصل ولكن من إذا قطعك وصلته، فليغتنم طالب الخير الفرصة.

نعم، ينبغي أن يلفت المسلم نظره إلى قول الله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِى يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة:٢٤٥]، وليس هذا مقصور على الجزاء في

الآخرة فالبياع المشتري يتصدق كي يبارك الله له في بيعه وشرائه والمزارع يتصدق فإن الله يبارك له في أثماره، ومن يريد البركة في أولاده فليتصدق كي يبارك الله له في أولاده وأهله، ومن يريد الزواج فليقدم الصدقة ويجعلها مقرونة مع الاستخارة عسى أن يوفق لبغيته ويحصل على طلبته، فالله سبحانه وتعالى لا يضيع عمل العاملين.

ثم قال عليه السلام: (وأعمال العباد نصب أعينهم في عاجلهم) نعم، المرء يقدم على ما قدم، ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ۝٤٦﴾ [فصلت]، وفي هذه الجملة المهداة من لسانه سلام الله عليه من الحث على أفعال الخير ما لا يقدر قدره لأنه صور الواصل يوم القيامة وعمله بمن يدخل إلى بيته وفيه متاعه فالغني يسعد بغناه، والفقير يشقى بعناه غير أن الذي يقدم على ما قدم من المعاصي أسوأ حالاً من الفقير؛ لأن الفقير الصابر يثاب على فقره والقادم على المعاصي يوم القيامة يعاقب على عصيانه ويُلقى بسببها في نار وقودها الناس والحجارة ﴿عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ۝٦﴾ [التحريم].

فالسعيد من فاز يوم القيامة برضوان الله وظفر بجنة الله مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك

رفيقاً، فمن أراد أن يكون كذلك فليحارب هواه أشد من محاربة العدو لعدوه ويجعل الخوف حليف قلبه قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى۝٤٠ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى۝٤١﴾ [النازعات]، وفي الحديث يقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((من أراد أن يعلم ما عند الله له فلينظر ما عنده لله)) ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ۝١٨﴾ [الحشر]، لذلك سمى الله يوم القيامة يوم التغابن.

ومما يزيد الطين بلة يوم القيامة على الفجرة الغافلين والمفرطين في طاعة أرحم الراحمين ما يرونه من الثواب والفوز والنصر لأعدائهم المؤمنين؛ لأن العصاة والمؤمنون أعداء في الدنيا وهم كذلك في يوم الدين.

اللهم احشرنا في زمرة محمد وآله يا رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

[قوله عليه السلام: ما ظفر من ظفر الإثم به]

ومن حكمه سلام الله عليه: (ما ظفر من ظفر الإثم به، والغالب بالشر مغلوب) وصدق الله العظيم القائل: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ۝٣٧﴾ [ق]، ففي هذه الحكمة موعظة بليغة للغافلين وفيها تسلية لمن ظلم من المحقين، وأي ظفر لمن سخط عليه جبار السموات والأرض ولو حاز القناطير المقنطرة من الذهب والفضة، فالظافر هو من أحرز النفيس من الطاعات يسابق أهل التقوى والدين وينافس الخيرة من عباد الله الصالحين يغنم بقية عمره في ما لأجله خلق من العبادة وما سوف عليه يقدم لا يكل ولا يمل حتى يوافيه أجله، ومن البلية أن الناس لم يعرفوا قدر العلم إلا من هم كالملح في الطعام، والشيطان لعنه الله يصغر العلم وأهله في عيون العامة كي يعيشوا جهالاً والجاهل خطأه أكثر من صوابه لذلك قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((عالم واحد أشد على الشيطان من ألف عابد، لأن العالم يستنقذ الله به الناس من الهلكة والعابد يوشك أن يقدح الشك في قلبه فإذا هو في وادي الهلكات)).

صاحب المعرفة يثاب وهو جالس في بيته، والجاهل يأثم في عمله بسبب جهله، فعلى العاقل أن لا يفرط في حياته، ولقد بلغت الحجة على العباد بتبليغ العلماء فلا عذر يوم القيامة

لجاهل أو متغافل، أما من تعمد الإثم فالمصيبة عليه أعظم وبليته أطم؛ لأن المتجري على الله مقتد بإبليس لعنه الله، ومن البلية والاختبار أن الله لم يعاجل العصاة في هذه الدنيا بل أخر الجزاء ليوم القيامة، ومن أجل ذلك اغتر الكثير بحلم الله وكل ذلك سببه الجهل، فالجاهل عدو نفسه يخطي ولا يدري أنه يخطي، ويصيب كذلك ولا يدري أنه أصاب.

وقوله عليه السلام: (والغالب بالشر مغلوب) ولقد سمى الله سبحانه وتعالى الشرك ظلماً في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ۝١٣﴾ [لقمان]، فالظلم جنس تحته مسميات عدة ومنها الشرك وكل ذلك إيحاءٌ بقباحة الظلم وشناعته.

ترى أقواماً يغلبون آخرين بظلم وتجبر وتكبر وهتك حرم وغير ذلك ويعدون ذلك نصراً وظفراً نسياناً منهم لما هم عليه قادمون وإليه صائرون وكأنهم لم يقرأوا قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ۝٤٢ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ۝٤٣﴾ [إبراهيم]، فالظالم يزكي نفسه في الخصومات ويمنيها أن ذلك نصر مبين مثل ما فعل ابن آكلة الأكباد معاوية بن أبي سفيان وشريكه في أمره عمرو بن العاص حين حاربوا أمير المؤمنين وقتلوا عمار بن ياسر ¤ وأمثاله وعلى هذه الطريقة جرت حروب البغاة يقولون:

انتصر فلان وهزم فلان، فالغالب وأتباعه يعدون ذلك نصراً ويتغافلون عما ينتظرهم في يوم الحساب ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ۝٥٢﴾ [غافر]، وهذا الفعل القبيح لا يقتصر على الدول بل يدخل فيه كل من تغلب على غريمه بالشر ولماذا قال أمير المؤمنين عليه السلام: إن الغالب بالشر مغلوب لأن الله خصمه، ومن كان الله خصمه فإنه مغلوب في الدنيا والآخرة، أما في الدنيا فيقول عليه السلام: لا نماء مع الفجور، وأما الآخرة فإنه يقضي بينهم علام الغيوب، من يحاسب على الذرة وعلى خائنة الأعين، قال تعالى: ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ۝٧٠﴾ [الزمر].

نسأل الله السلامة من حقوق عباده ونستغفره ونتوب إليه من سيئات أعمالنا، اللهم لا تمتنا إلا وأنت راض عنا يا أرحم الراحمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

[علاج طول الأمل من كلام الوصي عليه السلام]

قوله عليه السلام: (لو رأى العبد الأجل ومصيره لأبغض الأمل وغروره) نعم، بالآمال تعمر الدنيا وتختلف الرغبات والأهواء وبالآمال يقترب البعيد ويخدم القوي الضعيف، يطلب الإنسان المكاسب بعد عشرات السنين من أجل الآمال، وبالآمال يجمع المرء لغيره وعلى هذا جرت طريقة الأحياء في كل زمان ومكان منذ خلق الله آدم عليه السلام إلى يومنا هذا وستستمر إلى انقضاء التكليف إلا عند الخلاصة وهم أنبياء الله ومن مضى على نهجهم في كل زمان، فإن ذكر الموت قطع حبال الآمال من قلوبهم ووضع لهم الآجال نصب عيونهم فتجافوا عن دار الغرور وأقبلوا على دار الخلود، يعملون الأعمال الصالحة وهم خائفون لا يفترون عن طاعة الله وتسبيحه، ويستمرون في مناجاة الله وتحميده.

فمن أراد التخلص من ربقة الآمال فليكثر من ذكر هادم اللذات ومفرق الجماعات ويذهب بأفكاره إلى محلة الأموات وأبلغ العضات ويغوص بفطنته إلى مراقدهم حيث تهتكت لحومهم وتمزقت أوصالهم فلا يجيبون داعياً ولا يسمعون منادياً؛ فإذا قضى وطره من تلك المناظر الموحشة فليعد بطرفه إلى ما خلفوا من الدور الخربة والآثار الدامرة، أموالهم قد ملكها غيرهم فهم –أعني الأحياء– كما قال أمير المؤمنين:

(يرتعون فيما لفظوا ويقطعون أيامهم الثمينة فيما خلفوا) وعلى هذه الطريقة جرت طريقة الماضين واللاحقين إلا من عصم الله وهم كما قال الوصي: (الأقلون عدداً والأعظمون عند الله قدرا) فالسعيد من وعظ بغيره، فمن أراد أن يعمر قلبه بالإيمان فليجعل له من نفسه واعظاً ومن قلبه زاجراً، وليكثر من التفكر فالفكرة مرآة صافية والتفكر حياة قلب البصير كما يمشي المستنير في الظلمات بالنور.

وعلى طالب النجاة أن يُصْدِق نفسه بأنا خلقنا للآخرة لا للدنيا، وللموت في هذه الحياة لا للحياة، وكم وعظنا ربنا سبحانه بتقلب الأحوال، وكم شاهدنا من المنكوبين بمصائب الزمان، فعلينا أن نصحو من سكرات الجهل ونتوجه إلى ربنا بقلوب صادقة ونوايا صالحة، ونسعد بطاعة ربنا لأنها توصلنا إلى نعيم أبدي في جنة الخلد في دار أعدها الله لأنبيائه وخاصته من خلقه. وليعلم الإنسان أن في خلاف النفس رشدها.

نعم، عنوان الموضوع قول أمير المؤمنين عليه السلام: (لو رأى العبد الأجل ومصيره لأبغض الأمل وغروره) ولا يرى أجله إلا من تعلّق قلبه بالآخرة، فمن تعلق قلبه بأحوال الآخرة من الموت إلى القبر ثم الحشر إلى مواطن الحساب على كل صغيرة وكبيرة وآخر المطاف إلى جنة أو نار والعياذ بالله فإنه يقصر

أمله ويحذر من غروره ويعسر على الشيطان لعنه الله صرفه عن طريق الهدى وجره إلى طريق الضلال؛ لأنه بإطالة فكره في أمور الآخرة قد أخذ بأزمة التقوى والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ١٧﴾ [محمد].

نعم، طول الأمل مدخل فسيح للشيطان لعنه الله يُمَنِّي صاحبه بالأعمال الصالحة في المستقبل وبتربية أولاده كذلك وبالتوبة النصوح في الوقت المناسب ويقول له: ولكن هناك ما هو أهم من هذه الأمور وهو الفقر المدقع الذي يُصيِّر صاحبه ذليلاً مهاناً، ويحكي له مقالة الكثير: « خلِّف لعدوك ولا تحتاجه » وتماماً كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا﴾ [البقرة:٢٦٨].

نسأل الله السداد وحسن الخاتمة، اللهم خذ بأزمَّة قلوبنا إلى طاعتك وتقواك، ولا تمتنا إلا وأنت راض عنا، وانزع حب الدنيا من قلوبنا ووفقنا في بقية أيامنا ووالدينا وأولادنا وأهالينا والمؤمنين والمؤمنات يا أرحم الراحمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

[قوله عليه السلام: من نظر في عيب نفسه اشتغل عن عيب غيره]

قوله عليه السلام: (من نظر في عيب نفسه اشتغل عن عيب غيره، ومن رضي برزق الله لم يحزن على ما فاته):

قد تقدم قوله عليه السلام: (حاسب نفسك لنفسك فغيرها من الأنفس لها حسيب غيرك)، وفي الحديث: ((طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس)) أراد عليه السلام في قوله: (من نظر في عيب نفسه) النظر السليم وحقيقة النظر السليم هو الذي يخرج صاحبه بعد النظر بنتائج لأن الإنسان إذا نظر في عيبه بدت له عيوب أخر وبدا له قبح فعله وقلة حيائه ممن أولاه نعمه.

ومما يبارك قبح الفعل المسخط لله أن الإنسان استعمل نعم الله في معصيته وتناسى عن مراقبة الله عليه وأن الشهود يوم القيامة جوارحه وكيف يعيب على غيره ما قد فعل مثله فيحق له عند ذلك أن يتوب إلى خالقه من أولاه نعمه وستر عليه بكرمه، والذي دله على طريق الإنابة وفتح له باب التوبة ولم يلجئه إلى واسطة بينه وبينه وعندها يحق له أن يشغل نفسه بنفسه ولا يشغل نفسه بغيره، ثم يطيل الفكر كيف لو قدم يوم القيامة على ما قدم من السيئات وقد فضحه مولاه بين الخلائق يشاهد فضائحه البر والفاجر ملائكة الله عليه شاهدة وجوارحه بما وقع فيه من القبائح ناطقة لا يستطيع دفع

شهادة تلك الجوارح ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِى أَنْطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴿٢١﴾﴾ [فصلت]، فهذه النصيحة من أمير المؤمنين عليه السلام دواء ناجح تدحر الشيطان وترضي الرحمن يسلم صاحبها من تبعات المعاصي، وبهذه الطريقة ينظف صحيفته كما ينقي الحريص على النظافة ثوبه.

قوله عليه السلام: (من رضي برزق الله لم يحزن على ما فاته) سبحان الله العظيم ما أخفها على اللسان وأثقلها في الميزان، لا يرضى برزق الله من صميم فؤاده إلا من حطت المعرفة رحلها في قلبه، وفي الحديث: ((لن يكون المؤمن مؤمناً حتى يكون أوثق بما عند الله مما في يده))، ولا يرضى بما قسم له إلا من جسم النعم حتى كبرت.

نعم، يأكل لقمة عيشه جافة وقد حاز العافية والأمن والستر والسلامة يرى غيره من الموسعين في الدنيا قد طحنه البلاء يركض بماله وراء العافية وهو على فراشه نائم لو عرضت عليه الصفراء والبيضاء من الذهب والفضة ويفقد العافية مثل ما فقدها ذلك الغني لتنكر لمن عرض عليه هذا الخيار.

فلا يعرف حقيقة النعم إلا من عرض على نفسه فقدها، وعندها لم يحزن على ما فات عليه من غيرها.

نعم، صفة الخلاصة من خلق الله والخيرة من عباد الله تعظيم النعم بقلوبهم وحبهم لموليها من صميم أفئدتهم قد أغناهم عما في أيدي الناس من حطام الدنيا ما هم فيه من طاعة خالقهم، يعدد الواحد منهم الكثير من المعاصي المهلكة ويحمد الله من صميم قلبه أنه مجانب لها ويتجنبها فلا نعمة أكبر عليه من الدين، وبعدها العافية.

أما الرزق فهو أوثق بالله في لقمة عيشة وإذا طرأ عليه الغنى المطغي اتعظ بقول من يعلم السر وأخفى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾﴾ [الشورى]، ويذكر تبعات النعم الدنيوية يوم القيامة، وكذلك ما كان عليه سيد البشرية فتطمئن نفسه لذلك ويحمد الله من صميم قلبه على ما هو فيه من النعم ويطلب الغناء والراحة والسرور من ربه في يوم القيامة في مجاورة أنبياء الله حيث لا فقر ولا خوف ولا موت ولا تنكر الأحوال ولا عداوة الرجال.

اللهم بحق النبيين أسأل وبجاه خير البشرية وأهل بيته أتوسل أن تقنعنا بما رزقتنا، وأن تدخلنا في واسع رحمتك آمين رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

[قوله عليه السلام: لكل امرئ في ماله شريكان الوارث والحوادث]

ومن حكمه عليه السلام قوله: (لكل امرئٍ في ماله شريكان: الوارث والحوادث):

صلوات الله عليك يا أمير المؤمنين، تأتي الواحدة وهي أكبر من أختها، انظر بالله عليك في هذه الشركة اللازمة لأصحاب الأموال، الوارث يترقب هلاك صاحب المال من أجل الحصول على نصيبه، ويحرص ألا يفوته شيء مما خلف ولا سيما إذا كان الورثة كثيرين يتعتب على من خلف المال إذا كان له وصية أو عليه دين ولا أحد يسمع من لسانه كلمة يذكرها من أجل ذلك المورث يحث بها بقية الورثة على الصدقات من أجله أو يتقصوا فيما عليه من الحقوق أو يراعوا من كان يرحمه لضعفه أو لصغره أو لمحبته، فهذا الشريك الذي أحرم نفسه من ماله وآثره حتى إن البعض يموتون وعليهم حقوق لأبناء جنسهم أو لخالقهم ورازقهم فيشقون بما خلفوا ويسعد به غيرهم.

فكن وصي نفسك أيها المسكين، وعَظِّم حاجتك في قبرك ويوم حشرك ونشرك، فما هي إلا أيام وقد وصلت ومن لم يكن له من الله واعظ فما تنفع المواعظ، وتماماً الأمر كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: (ما أكثر العبر وأقل الاعتبار) وقوله: (الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا).

نعم، الشريك الثاني الحوادث يجمع الإنسان بحرص وعناية ويوم من الأيام تأتي جائحة تأكل الأخضر واليابس فلا ذا تأتى ولا ذا حصل، لا تطيب نفسه بإدخال السرور على أولاده ببعض المشتهيات وإذا بالمصيبة في المال قد عرضت تأخذ نصيبها مما جمع فلا يرى إلا الغضب على من كان يحرمهم من بعض المشتهيات ولا يلقي لحرمانهم بالاً ولعله السبب، كذلك الأرحام يبخل عليهم بالعطاء وعلى نفسه بالخلف فتأتي جائحة تجتاحه في مزرعته أو بيعه وشرائه أو بلية يبلى بها غيره فتأخذ تلك البلية مأخذها وتشل حقها، فإنا لله وإنا إليه راجعون، وبه من جميع المصائب عائذون، وما يعقلها إلا العالمون، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

[كلام له عليه السلام: يصف به عمل الخير وعمل الشر]

قوله عليه السلام: (شتان ما بين عملين عمل تذهب لذته وتبقى تبعته، وعمل تذهب مؤنته ويبقى أجره):

صدق سلام الله عليه فالمعاصي تذهب لذاتها وتبقى تبعاتها، كم ظلم الظالم وغش الخائن وسرق السارق وزنى والعياذ بالله الزاني، وكذلك من يقتلون الناس ظلماً وعدواناً وكفراً وطغياناً، يخوفون الآمنين في مساكنهم والجميع يحسبون أنهم يحسنون صنعاً، فلما ذهبت شهواتهم وقربت آجالهم وتقاصرت أعمارهم وصاروا في مجتمعاتهم في عداد المنبوذين قد ملهم القريب والبعيد بسبب أعمالهم السيئة وذنوبهم القبيحة فلا يوجد لأحد منهم مودة في قلوب الأقربين؛ لأن الله سبحانه وتعالى كره بهم وحكم بالمودة لأوليائه الصالحين، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا۝٩٦﴾ [مريم]، أما هؤلاء فإنهم يموتون شبه الحرمات من الأنعام والسباع وهم قادمون على أعمالهم الخبيثة ﴿وَيَقُولُونَ يَاوَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا۝٤٩﴾ [الكهف].

فالسعيد من تدارك نفسه بتوبة نصوح يبكي على خطيئته ويندم على تفريطه حتى يأتيه الموت وقد أخذ لنفسه ما

يخلصها من أغلال الذنوب وستر قبائحه بالإنابة كي لا يهتك ستره علام الغيوب، غير أن التمادي في الغي واقتراف كبائر الذنوب تحول بين صاحبها وبين التوبة ولا سيما الذنوب المتعمدة من أذية المساكين والمؤمنين وظلم المستضعفين وإعانة أعداء الله الظالمين وكذلك أكل السحت غير أن الله يقبل التوبة من عباده إذا تابوا وأنابوا بصدق من نياتهم وإخلاص من ضمائرهم وحاش الله أن يجبه من أقبل عليه فالسعيد من تدارك نفسه في هذه الحياة قبل أن تأتيه منيته وهو متماد في غيه.

قوله عليه السلام: (وعمل تذهب مؤنته ويبقى أجره) صدق ــ العمل الصالح تذهب مؤنته سواء كان ذلك عطاءً أم عملاً أو قولاً أو نية، ينسى الإنسان التعب وقد حاز المكسب، ومن أجل ذلك خلق الله العباد كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات]، ولا يقدم الأعمال الصالحة إلا المؤمنون بالغيب، أيقنوا بالخلف فجادوا بالعطية.

نعم، من خاف اليوم أمن عند الموت ويوم البعث، قال تعالى: ﴿وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴿٨٩﴾﴾ [النمل]، ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾ [الأنبياء:١٠٣]، بل يرون العكس من ذلك وهو الأمان من ملائكة الله: ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ

تُوعَدُونَ﴿٣٠﴾ [فصلت].

أولياء الله يذمون أنفسهم وغيرهم يزكيهم، لا يقنعون بالقليل من الأعمال الصالحة بل يسارعون في الخيرات يبتغون بذلك وجه الله والدار الآخرة، غسلوا قلوبهم من أطماع الدنيا وأوساخها بحب الله وحب رسوله والصالحين، يرون الجنة نصب أعينهم وما أعد الله لأهلها فيها من القصور المبنية والبساتين المثمرة والأنهار الجارية والحور الحسان والخدم، حيث لا موت ولا مرض ولا فقر ولا ظلم ولا نفوس ثقيلة في غاية الشباب خلقوا، وفي منتهى الطمأنينة سكنوا، ترحب بهم ملائكة الله ويسكنون بجوار أنبياء الله، الوجبات الشهية تغدو عليهم وتروح لا يطرق قلوبهم هم ولا غم، ولا يتناقلون في جنات النعيم خبراً منغصاً بل إخوان على سرر متقابلين، في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

فشمر يا طالب الجنة واترك الكسل والتواني ولا تخدعك نفسك بالأماني فاليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل، اللهم اهدنا إلى سواء السبيل يا أرحم الراحمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

[من كتاب له عليه السلام إلى عمرو بن العاص]

وكتب عليه السلام إلى عمرو بن العاص: (فَإِنَّكَ قَدْ جَعَلْتَ دِينَكَ تَبْعاً لِدُنْيَا امْرِىءٍ ظَاهِرٍ غَيُّهُ، مَهْتُوك سِتْرُهُ، يَشِينُ الْكَرِيمَ بِمَجْلِسِهِ، وَيُسَفِّهُ الْحَلِيمَ بِخِلْطَتِهِ، فَاتَّبَعْتَ أَثَرَهُ، وَطَلَبْتَ فَضْلَهُ، اتِّبَاعَ الْكَلْبِ لِلضِّرْغَامِ، يَلُوذُ إِلَى مَخَالِبِهِ، وَيَنْتَظِرُ مَا يُلْقَى إِلَيْهِ مِنْ فَضْلِ فَرِيسَتِهِ، فَأَذْهَبْتَ دُنْيَاكَ وَآخِرَتَكَ! وَلَوْ بِالْحَقِّ أَخَذْتَ أَدْرَكْتَ مَا طَلَبْتَ، فَإِنْ يُمَكِّنِ اللهُ مِنْكَ وَمِنِ ابْنِ أَبِي سُفْيَانَ أَجْزِكُمَا بِمَا قَدَّمْتُما، وَإِنْ تُعْجِزَانِيْ وَتَبْقَيَا فَمَا أَمَامَكُمَا شَرٌ لَكُمَا، وَالسَّلاَمُ):

يكفي عمرو أنه جعل قدوته معاوية بن أبي سفيان وما سبب ذلك إلا حب الدنيا وإلا فهو يعلم بمكانة أمير المؤمنين ومكانة معاوية وكم لهما من المحاورات التي يبيح كل واحد منهما سر الثاني ويهتك ستره، يوماً قال معاوية لجلسائه وبينهم عمرو بن العاص: من يأتيني بما في علي بن أبي طالب فله هذه البدرة من المال، فتكلم كل واحد بما يسخط الله نثراً أو شعراً ولم يعطها معاوية أحداً إلا عمرو فإنه تكلم بما في أمير المؤمنين طلباً للدنيا وحجة ينطق بها لسانه يوم القيامة فقال(١):

(١) ذكر هذه القصة والشعر في النصائح الكافية لمحمد بن عقيل (١/ ١١٤) =

بـآل محمـد عـرف الصـواب وفي أبيـاتهم نـزل الكتـاب
وهم حجج الإله على البرايـا بهـم وبجـدهم لا يسـتراب
ولا سـيما أبـو حسـن عـلي لـه في المجـد مرتبـة تهـاب
إذا طلبـت صـوارمه نفوسـاً فليس لها سوى نعم جـواب
طعام حسامه مهج الأعـادي وفيض دم الرقاب لها شراب
وضربتـــه كبيعتـــه بخـــم معاقدها من الناس الرقـاب
إذا لم تـبر مــن أعــدا عــلي فــما لــك في محبتــه ثــواب
هو البكاء في المحـراب لـيلاً هو الضحاك إن آن الضراب
هو النبأ العظيم وفلـك نـوح وبـاب الله وانقطـع الجـواب

فأعطاه معاوية المال، وهما يعلمان بذلك ولكن الأمر كما قال أمير المؤمنين: (والله ما أسلموا ولكن استسلموا).

نعم، يقول أمير المؤمنين في كتابه لعمرو: (فإنك قد جعلت دينك تبعاً لدنيا امرئٍ ظاهر غيه مهتوك ستره) نعم، معاوية جعل دينه تابعاً لهواه ودنياه وعمرو جعل دينه تابعاً لدنيا معاوية كان يشار إليه عند غلف القلوب يقال هذا صاحب رسول الله فكانوا يصدقونه ويقبلون منه أقوال الزور والكذب، وكان معاوية يضعه في مجلسه إلى جانبه لأنه كان وضيع ليس له قيمة عند قريب ولا بعيد مع ما كان يوجه إليه

وعزاها إلى الإكليل للهمداني.

بأنه لغير رشدة وممن وجه إليه ذلك الحسن بن علي عليهما السلام في محاورة دارت بينه وبين معاوية وأخيه عتبة وعمرو والمغيرة بن شعبة فسبهم الحسن عليه السلام حتى هتك سترهم وبين عليه السلام فضائحهم وألبسهم العار وقلدهم الشنار والقصة بكاملها في الحدائق الوردية لفضيلة العلامة حميد الشهيد ©.

قوله عليه السلام: (ظاهر غيه، مهتوك ستره) ولو لم يكن إلا محاربته لأمير المؤمنين وقتله لعمار بن ياسر © وحجر بن عدي وأمثالهما وإرساله لبسر بن أرطأة إلى اليمن قتل في طريقة ثلاثين ألفاً وحمل نساء من همدان سبياً كن يبعن في أسواق الشام كما تباع الإماء وغير ذلك من القبائح، ثم توليته يزيد السكير على رقاب المسلمين، ولم يذكر بخير أيام تواجده عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا سُمِع فيه مديحة إلا قول رسول الله عندما أرسل إليه يكتب الوحي فقيل: إنه يأكل، ثم أرسل إليه فقيل: إنه يأكل، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((لا أشبع الله بطنه)).

فهذا قدوة الخائن الغدار عمرو بن العاص الذي باع دينه بالتافه من الأثمان وصدق أمير المؤمنين عليه السلام حين خاطب أصحابه في العراق وقال: (اذهبوا إلى بقية الأحزاب) وقال عليه السلام: (والله ما أسلموا ولكن استسلموا) وقد تقدم أن عماراً ¤ وقف بين الفريقين وعنده القراء وذلك في صفين فأقسم بالله إنه قد قاتل راية الشرك ثلاث عشرة مرة مع رسول الله

وما هي في هذه المرة بأبرأهن من الشرك.

ثم أكمل أمير المؤمنين وصف معاوية بقوله: (يشين الكريم بمجلسه، ويسفه الحليم بخلطته) يقال للحليم سفيه إذا خالطه وإذا أوى الكريم إلى مجلسه يقال له كان هذا كريماً فشانه مجلسُ معاوية، شبيه نظيف الثياب جميل الوجه إذا جلس بين القاذورات والروائح الكريهة.

وقد أراد الوصي عليه السلام من هذا الكلام أن يبين حقيقة الاثنين التابع والمتبوع، وكلما تكلم عليه السلام بكلمة في أحدهما لزم الآخر مثله؛ لأنهما شريكين في الغي والضلال وفي انتهاك حرم الله وتصغير الحق وتجسيم الباطل، فلم يبق حق إلا ضيعوه ولا باطل إلا نصروه وقربوه ولا عزيز إلا أهانوه ولا هين إلا رفعوه، غرسوا الفتن وأبادوا خضراء السنن، ونقضوا الإسلام عند أتباعهم عروة عروة حتى أجروا لعن أمير المؤمنين على منابر المسلمين، فعليهم لعنة الله ولعنة رسوله ولعنة اللاعنين إلى يوم الدين.

ثم وجه إليه القول بقوله عليه السلام: (فأتبعت أثره، وطلبت فضله اتباع الكلب للضرغام، يلوذ إلى مخالبه وينتظر ما يلقي إليه من فضل فريسته) لذلك يقول لمعاوية: وما تعطيني إذا نصرتك على علي؟ فقال له: مصر.

قوله: (من فضل فريسته) فمعاوية وعد عمراً بمصر إذا

تغلب على الملك وأخذه ثم قال عليه السلام: (فأذهبت دنياك وآخرتك، ولو بالحق أخذت أدركت ما طلبت) نعم، لو سلك طريق الحق لمدحه الناس وأثنوا عليه بدل الذم ولو بالحق أخذ لجعل الله غناه في قلبه ورزقه من حيث لم يحتسب، وأنفق الفضل من ماله ولم يتمن عند موته ويقول: وددت أنها بعراً ولا أني قاتلت أبا تراب.

وأخيراً يقول عليه السلام: (فإن يمكنني الله منك ومن ابن أبي سفيان أجزيكما بما قدمتما، وإن تعجزاني وتبقيا فما أمامكما شر لكما والسلام) اللهم ارزقنا حب أوليائك وبغض أعدائك يا رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

[من نصيحته للحسن عليهما السلام]

ومن نصيحته للحسن عليهما السلام: (أَحْيِ قَلْبَكَ بِالْمَوْعِظَةِ، وَأَمِتْهُ بِالزَّهَادَةِ، وَقَوِّهِ بِالْيَقِينِ، وَنَوِّرْهُ بِالْحِكْمَةِ، وَذَلِّلْهُ بِذِكْرِ الْمَوْتِ، وَقَرِّرْهُ بِالْفَنَاءِ، وَبَصِّرْهُ فَجَائِعَ الدُّنْيَا، وَحَذِّرْهُ صَوْلَةَ الدَّهْرِ وَفُحْشَ تَقَلُّبِ اللَّيَالِي وَالأَيَّامِ):

تأمل في قوله عليه السلام: (أحي قلبك بالموعظة) صدق سلام الله عليه الموعظة تحيي القلوب وتغسلها من أوساخ الذنوب لمن أصغى بسمعه ووعى بقلبه وهي عند العاقل أحلى من العسل الشهد كما قال لقمان الحكيم لولده، وهي على السفيه أشق من صعود الدرج على الشيخ الكبير، فالقلوب كالزرع والزرع يسقى بالماء وإلا مات والقلوب تسقى بالمواعظ وإلا حجرت ويبست ولو لم يكن من الأدلة إلا قول الله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ۝٥٥﴾ [الذاريات]، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ۝١٢٢﴾ [النساء]، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ۝٨٧﴾ [النساء]، يقول صانع القلوب والمدبر لها: ﴿فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ۝٥٥﴾ فلا بد من المواعظ والإيمان.

ثم أردف عليه السلام هذه الجملة بجملة أخرى: (وأمته بالزهادة) هناك يقول عليه السلام: (أحي قلبك) وهنا يقول: (أمته بالزهادة) أراد عليه السلام أحيه كي يتشوق لما يوصله إلى رغد العيش ولا يوصله إلا الطاعة الخالصة من العلم والعمل،

وقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: (أمته بالزهادة) أراد أن يميته عن الشهوات وحب اللذات التي قتلت العباد وألقت بهم إلى مكان سحيق بذكر الموت فذكر الموت يزهد الإنسان في كل مطلوب لأهل الدنيا ومرغوب، فعلى الراغب في نعيم الجنة أن يستعمل علاج الزهد وهو الإكثار من ذكر الموت.

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: (وقوه باليقين) ومعنى ذلك أنك لا تبني أمورك على الظن والشك والوهم حتى تكون مضطرباً في شأنك وما أنت عليه قادم، فالقلب يضعف مع الاضطراب ويقوى مع اليقين، وأعظم ما يرسخ اليقين حسن المعرفة برب العالمين، فمع المعرفة بالله يكون قلب الإنسان على حمل التكليف قوي لا تزعزعه العواصف ولا يأبه بالقواصف.

ثم قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: (ونوره بالحكمة) ومع عدم العلم يكون القلب مظلماً بقدر جهل صاحبه؛ لذلك قيل: العلم نور والجهل ظلام.

ثم قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: (وذلله بذكر الموت) أراد عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يدرب الإنسان قلبه على فعل الطاعات وتحمل الضيم وترك المحرمات بذكر الموت فلا تدريب للقلب على تحمل المشاق مثل ذكر الموت لأن من أكثر من ذكره سهلت عليه المتاعب وهانت عليه كل المصائب.

وقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: (وقرره بالفناء) القرار للقلب هو ضد

الاضطراب فإذا أردت أن تكون قار القلب فتذكر فناءك وفناء الأشياء من هذه الحياة وسوف تستريح من متاعب الدنيا وتهون عليك مصائبها.

قوله عليه السلام: (وبصره فجائع الدنيا) من الخوف والبلاء والموت والضعف والهم والغم واستيلاء الأعداء والفقر وغير ذلك من موت الزوجة والولد ومفارقة ما تعبت في جمعه وبنائه وإلى آخره.

ثم قال عليه السلام: (وحذره صولة الدهر، وفحش تقلب الليالي والأيام) صور الدهر بسبع مفترس والسبع كلٌّ يأخذ منه حذره غير أنه لا بد من صولة الدهر على كل حي كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((ما من بيت فيها فرحة إلا تبعتها ترحة)).

وختمها بقوله عليه السلام: (وفحش تقلب الليالي والأيام) قد تقدم شرح هذه الجملة في قوله: (رب مستقبل يوم ليس بمستدبره ومغبوط في أول ليل قامت عليه بواكيه في آخره).

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين، اللهم اختم لنا بالحسنى يا أرحم الراحمين آمين رب العالمين.

[ما يلاقيه الدعاة إلى الله]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلوات الله وسلامه على حبيبنا المصطفى وعلى آله الطاهرين، وبعد:

لما كانت الدعوة إلى الله الخالصة من أعظم القرب المقربة إلى الله وأصحابها يتميزون من بين سائر الخلق في كل زمان غير أنهم يلقون المصائب ويواجهون بحمل الكثير من المتاعب غير أن الله سبحانه وتعالى يمنحهم صبراً وأخلاقاً يتغلبون بها على متاعب الحياة وأولهم وأولاهم بالذكر أنبياء الله صلوات الله عليهم أجمعين، وبعدهم من يقوم مقامهم ويؤدون مهامهم وأولهم في أمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أمير المؤمنين وسيد الوصيين ويعسوب المؤمنين علي بن أبي طالب سلام الله عليه ورضوانه ورحمته وبركاته ثم الأئمة العادلون الذين يقضون بالحق وبه يعدلون ثم العلماء العاملون الذين سلكوا مسلك النبي ومضوا على طريقة الوصي غير أن الذي يقضي منه العجب ويحار فيه الفكر ما يواجه به هؤلاء في آخر أعمارهم من العداوة والبغضاء من أهل مجتمعاتهم فما أدري ما هي الأسباب الحاملة للكثير على عداوتهم هل الجهل هو السبب فما بال أهل المعارف ممن كانوا يلازمون مجالسهم الأوقات الطويلة والسنين العديدة.

نعم، يكون العالم الكبير في بلد من البلدان والناس من علمه يغترفون وبفتاواه يقتنعون وبدعائه ومحواته يستشفون، يفد إليه الناس من كل ناحية لطلب الهداية ولفصل الخصام ولا أحد ممن حوله يذكره إلا بخير، يستشيره الأكثر ممن حوله في أمورهم الخاصة فيقتنعون برأيه وعلى هذه الطريقة تستمر أحواله وأحوالهم حتى يحصل واحد من أمرين إما أن يغنيه الله من فضله ويزيد في رزقه وأرزاق أهل بيته فيعمر بيتاً أو بيوتاً ويقتني مثل ما يقتني الموسرون منهم من سيارة أو بيع وشراء أو غير ذلك مما بأيدي الخاص والعام وعندها تتغير نظرة الكثير ممن كان يألفهم ويألفونه وتدب الشكوك إلى قلوبهم ولا سيما مع قصور المعرفة بالله عز وجل فقائل يقول شغلتهم الدنيا مثل غيرهم وتوجهوا إليها وتركوا العلم وهداية الناس، ويضيف البعض إلى ذلك أن السبب أولادهم ونساؤهم، وقائل يقول: هذه الأموال التي كانوا يقبضونها من الزكوات وما يعطيهم التجار من الصدقات التي يؤمرون بقسمتها بين الضعفاء والمساكين، وأكثر أصحاب هذه المقالة هم الفقراء الذين كان يعطيهم من الحقوق في بعض الأوقات!! ويدب هذا الداء بينهم شيئاً فشيئاً حتى يتأثر به الأغنياء إلا القليل.

نعم، الشيطان ـ لعنه الله ـ لا يكتفي بهذا القدر من الجفوة

والإعراض والمقاطعة حتى ينطق لعنه الله بألسنتهم فيوجهون الكلمات الجارحة إلى أولئك الذين بذلوا جهدهم في صلاحهم وإصلاحهم السنوات العديدة يرمونهم بالنصب والاحتيال، وأنهم اتخذوا دينهم وعلمهم وسيلة لجلب الأموال وخدع الرجال، وصنف ثالث يتحرجون من التهم التي سبقت ويقولون: هم علماء أفاضل غير أنه ما كان ينبغي لهم أن يبالغوا في البناء؛ لأنهم قدوة وكان يتوجب عليهم أن يجانبوا الغنى فالعلماء يعرفون بزهدهم وقلة ذات أيديهم، ولكن الدنيا فتانة وما أحد يسلم من شرها، يقولون بهذه المقالات تبريراً لغيبتهم وتنقيصهم للعلماء العاملين.

وما سبب هذا كله إلا الحسد المذموم الذي قال فيه أمير المؤمنين عليه السلام: (الحسد جامع لمساوئ العيوب) وبسبب الحسد تمتلئ القلوب ضغائن غير أن العالم إذا شاع وملأ الأسماع ذكره فإنه لا طريق لإبداء الضغائن إلا إذا رأوا لهم أنصاراً على ذلك فإنهم يبدون ما في قلوبهم وهذه بلية عظيمة تقصم ظهر من يتخلق بها فلا شيء أحب إلى الشيطان لعنه الله من عداوة الخيرة في كل زمان والنيل من أعراضهم ففي الحديث القدسي: ((من أهان لي ولياً فقد برز لمحاربتي)).

حسبنا الله ونعم الوكيل وعندما تشكى العباس عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من عداوة قريش لبني هاشم

وحنقهم عليهم أجابه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((أو يفعلون ذلك؟)) قال: نعم، فقال: ((والذي نفسي بيده لا يؤمنون حتى يحبوكم لي)).

وما قد رأيناه في زمننا وما لاقى علماؤنا ومراجعنا أقوى شاهد، فالشيطان لعنه الله حريص على إدخال عداوة الخيرة في القلوب، وإذا تغلب الكثير على أنفسهم من ترك أذية العالم فإن الشيطان لعنه الله يدخل عداوة الخلاصة من أصحابه في قلوب أهل مجتمعه مثل طريقته بأصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم عندما أدخل عداوة أمير المؤمنين في قلوب الكثير وبعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم أدخل عداوة أصحاب أمير المؤمنين الخلص مثل أبي ذر وعمار وغيرهم، وهذه طريقته وطريقة الناس معه في كل زمان ومكان، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

الأمر الثاني الذي من أجله يبغض المجتمعُ عالِمَهم ومن كان قدوتهم: طول المدة فلا يثبت مع النبي أو الوصي أو العالم إلا من امتحن الله قلوبهم بالتقوى، والكثير يخالفون إما في حياته أو بعد وفاته، وكتب التاريخ مشحونة بذكر من ترك الخلاصة في آخر المطاف، وقد شاهدنا ذلك في زمننا ولا سيما مع الفتن، فإن وافق هواهم وإلا فإنهم يجفونه ويتحاملون عليه وينسبون إليه ما لا يرضي الله.

وكم تشكى أمير المؤمنين من أصحابه قبل موته وقبله

النبي صلى الله عليه وآله وسلم آخر التشكي في مرضه الذي مات فيه عندما ذم بعضهم النساء فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((دعوهن فإنهن خير منكم)) وبعدهم الحسن والحسين وزيد بن علي تركهم أصحابهم ومن كان يألفهم وخذلوهم، وعلى هذه الطريقة جرت معاملة الناس لكبارهم فلا يسلم من عداوة الخيرة إلا القليل.

فليحذر طالب النجاة والجنة من هذه الدسيسة الشيطانية ولا يقتدي بالمتحاملين على أولياء الله، وقد حذرنا ربنا سبحانه وتعالى بقوله عز وجل: ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ۝٩﴾ [الطارق]، فما كان يضمر في هذه الدنيا فإنه يظهر يوم القيامة.

وقد كتبت موضوعاً انطوى على فوائد مفيدة في الكتاب السابق (مقتطفات من التجارب) عنوانه (البحث عن الأسباب) فلا يفوت المطلع على هذا.

أسأل الله العظيم البر الرحيم أن يغفر لنا كل ذنب أذنبناه وكل باطل عملناه، وأن لا يميتنا إلا وهو راض عنا، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

[خاتمة]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، وصلى الله وسلم على سيد الأنبياء محمد المصطفى وعلى آله حملة الشفاء من كل بلوى سفينة النجاة وقرناء القرآن ونجوم الأزمنة إلى منقطع التكليف، وبعد:

الإنسان يضطرب في أعماله الأخروية هل قبلها ربنا وخالقنا أم ردت عليه لسبب من الأسباب، وورد في الصلاة: إذا لم يأت بها صاحبها على الوجه المطلوب فإنها تلف كما يلف الثوب الخلق ويلطم بها وجه صاحبها، وفي الصوم: رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش، وكذلك الحج والزكاة والصدقات وغير ذلك، لكن التبرك بذكر الوصي والثناء عليه والمدافعة عنه وعن أهل بيته ونصرتهم فإن الإنسان يحس بقبول العمل وبركته ورضوان الله على ذلك ورحمته، فالسعيد ورب المبنيات السبع من سنحت له الفرصة في نصرهم والمدافعة عن أعراضهم؛ لأنهم لحم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ودمه، والوصي شريكه في أمره إلا النبوءة.

فمن أراد الصلاح في دينه ودنياه وذريته وأهله فليعرف فضلهم وشرفهم وليتب إلى الله من التقصير في حقهم، ومن عجز عن أداء حق الوالدين فهو بحق آل محمد أعجز.

الوالدان نعمتهما عليك أنهما ربياك وتعبا عليك وغذياك في صغرك، ونعمة آل محمد عليك أنهم سلكوا بك طريق الهداية وجنبوك مدارج الغواية ولولا هم لما عرفنا حقاً من باطل ولا صواباً من خطأ، وكلما أخذ علينا الله في حقهم من الحب والولاء وكذلك رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فمصلحة ذلك راجعة إلينا، فلا نجاة لمبغض أمير المؤمنين بالنص النبوي: ((يا علي لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق)).

ومن جفا أهل البيت عَلَيْهِم السَّلَامُ فقد رد كتاب الله؛ لأنه سبحانه وتعالى يقول: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [الشورى:٢٣].

فعلى طالب النجاة أن يتنبه من رقدة الغافلين ويتابع أهل بيت الرحمة بيقين ودين ولا يكن شريكاً لأعدائهم في ظلمهم وعداوتهم فالظلم يهلك والنار تحرق وكما أن النار قليلها يحرق كذلك الظلم قليله يهلك، وما سلم من عداوتهم وظلمهم من زمن المصطفى إلى يومنا هذا إلا أقل القليل في كل زمان وليس لهم ذنب يستحقون به العداوة إلا أنهم متمسكون بدين الله القويم وينشرون شريعة سيد المرسلين فالدول فيما سبق حرصت على إبادتهم وقطع دابرهم هم وشيعتهم وبهلاكهم يهلك دين الله القويم، غير أنه عهد معهود أنها لا تزال طائفة على الحق ظاهرين كما قال رسول

الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يضرهم من ناواهم، وقال: ((يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين فاعتبروا يا أولي الأبصار وتوكلوا على الله)).

هذا زيد بن علي والهادي والقاسم والناصر وغيرهم من أئمة الهدى على جميعهم السلام يتطرق النصبة لسبهم والنيل من أعراضهم وأكل لحومهم بعد مئات السنين وكم عانى كل واحد في حياته من الحرب والتشريد والقتل والتنكيل، كم لاقى الوصي وكم عانى؟ ثم الحسن وبعده الحسين عليهما السلام، وزين العابدين من بعدهم وإلى يومنا هذا فلا يموت العالم الرباني منهم إلا وقد كره الحياة من أهل زمانه.

فيا عجباه أين أوصلهم الله في كتابه الكريم؟ قرنهم بملائكته وأثبت لقبهم مع اسمه في قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ [آل عمران]، فلا يغبط يوم القيامة إلا من سلمت صحيفته من عداوتهم وظلمهم، يقول المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم: ((أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، إني سائلكم غداً ومحف في المسألة)).

نسأل الله السداد وحسن الخاتمة، وهذا ما يسر الله به وجادت به قريحتي، أسأل الله أن يجعله عملاً صالحاً مقبولاً،

وأن ينفع به المؤمنين والمؤمنات، آمين رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

الفهرس

[المقدمة].. ٣
[نصائح للدعاة إلى الله]............................... ٥
[الدعاء]... ١٦
[من كلام لأمير المؤمنين عليه السلام في معرفة الله تعالى]............ ٢٤
[قول أمير المؤمنين عليه السلام: شقوا أمواج الفتن بسفن النجاة] ... ٣٠
[قول أمير المؤمنين عليه السلام: مجتني الثمرة لغير وقتها]............ ٣٥
[قوله عليه السلام: (المقيم بين أظهركم مرتهن بذنبه..إلخ]............ ٤٦
[قوله عليه السلام: ليسبقن سابقون كانوا قصروا..إلخ]............ ٤٩
[قوله عليه السلام: إن الأمر ينزل من السماء إلى الأرض كقطر المطر] ٥٢
[قوله عليه السلام: الزهادة قصر الأمل..إلخ]........................ ٥٥
[قوله عليه السلام: يوم العدل على الظالم أشد من يوم الجور على المظلوم].. ٦٠
[من كلام له عليه السلام خاطب به أبا ذر يوم أخرجه عثمان من المدينة] ...٦٣
[قوله عليه السلام: أصبحتم في زمن لا يزداد الخير فيه إلا إدباراً] ٧١
[كلام بليغ له عليه السلام في الحث على الصدقة]................ ٧٩
[من كلامه عليه السلام في فضل القرآن الكريم].................... ٩٥
[ومن كلام له عليه السلام في وصف القرآن]...................... ١٠٣
[من كلام أمير المؤمنين (ع) في وصف المتقين].................. ١٠٧
[خطبته عليه السلام في وصف المتقين لهمام]...................... ١١٨
[قوله عليه السلام رب مستقبل يوماً ليس بمستدبره..إلخ]........ ١٢٢

[قوله عليه السلام: الكلام في وثاقك ما لم تتكلم..إلخ]............١٢٦
[قوله عليه السلام: الركون إلى الدنيا مع ما تعاين منها جهل.. إلخ]١٢٩
[قوله عليه السلام: من هوان الدنيا على الله أنه لا يعصى إلا فيها..إلخ]
....١٣٣
[قوله عليه السلام: ألا وإن من نعم الله سعة المال.. إلخ]...........١٣٥
[في ذكر عمرو بن العاص]...................................١٣٧
[في عجيب خلق أصناف من الحيوانات] ١٤٣
[من كلام له عليه السلام في الصدقة وأعمال العباد]...............١٥٨
[قوله عليه السلام: ما ظفر من ظفر الإثم به] ١٦١
[علاج طول الأمل من كلام الوصي عليه السلام] ١٦٤
[قوله عليه السلام: من نظر في عيب نفسه اشتغل عن عيب غيره] .١٦٧
[قوله عليه السلام: لكل امرئ في ماله شريكان الوارث والحوادث]
....١٧٠
[كلام له عليه السلام: يصف به عمل الخير وعمل الشر]...........١٧٢
[من كتاب له عليه السلام إلى عمرو بن العاص]......................١٧٥
[من نصيحته للحسن عليهما السلام] ١٨٠
[ما يلاقيه الدعاة إلى الله]...................................١٨٣
[خاتمة]...١٨٨
الفهرس...١٩٢